حوار شيخين في الإسلام

أسامة كامل أبو شقرا

حِوَارُ شَيْخَيْن

في الإسلام

2021

ابو شقرا، اسامة كامل
حوار شيخين في الاسلام/ اسامة كامل ابو شقرا – عمان: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، 2021
( )ص.
ر.إ. : 2695/ 4/ 2021
المواصفات: / الثقافة الاسلامية
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية او اي جهة حكومية اخرى

جميع حقوق الطّبع والنّشر محفوظة. ©

لا يسمح بتصوير أو نسخ جزء أو كل هذا الكتاب بدون الموافقة الخطّية من المؤلف.

وكل مَن يُخالف ذلك، يعرّض نفسه للمساءلة القانونية

الطبعة الأولى، 2021

دار يـــافـــا العلمية للنشر والتوزيع
الأردن – عمان – تلفاكس 4778770 6 00962
ص.ب 520651 عمان 11152 الأردن
E-mail: dar_yafa @yahoo.com

أعمال سابقة للمؤلف

دليل الموضوعات في آيات القرآن الكريم - الطبعة الأولى - بيروت - 2001.

أصول تطبيق قانون الضريبة على القيمة المضافة - الطبعة الأولى - بيروت - 2002. الطبعة الثانية - بيروت 2004.

المسيح (عليه الصلاة والسلام) في القرآن - الطبعة الأولى - بيروت 2004.

وترجم إلى الفرنسية في العام 2013 بعنوان:

Jésus - Christ et la Vierge Marie dans le Coran - 1ère édition - Beyrouth - 2013

الاقتصاد في القرآن - الطبعة الأولى - بيروت - 2007.

أعمال غير منشورة في كتاب لعارف أبو شقرا - تحقيق - الطبعة الأولى - بيروت - 2011.

حنينُ الحُبِّ - الطبعة الأولى - 2016 - الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت - لبنان.

عودة إلى أسباب أحداث القرن التاسع عشر في جبل لبنان - 2017 - الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت - لبنان.

الجهاد في القرآن، لا قتال بعد وفاة النبيّ (ص) – 2018 - الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت - لبنان.

أحاديث الرسول (ص) بين الصحيح والمنحول -

2021 - دار يافا العلمية للنشر والتوزيع – عمان الأردن. ودار الدندشي للطباعة والتوزيع – مونتريال – كندا.

المحتويات

المقدمة 9

اللقاء الأول..... 13

اللقاء الثاني 27

اللقاء الثالث..... 47

اللقاء الرابع 71

اللقاء الخامس..... 91

المقدمة

بعد ما رأيتُه، على مدى عقود من الزمن، من ممارسات وأفعال، وما سمعته من الفتاوى الغريبة، باسم الإسلام، أو بحجة الدفاع عنه، أو عن الله تعالى ونبيّه الكريم، والصادرة في معظمها، عن أناسٍ لا صفة ولا حقَّ لهم في ذلك، أغلبُ الظنّ أنّهم مُغرضون، يتسترون بجلباب يرتدونه، وعمامة تغطّي رؤوسهم، ولحًى أطلقوها؛ رأيت من واجبي أن أبيّن ما أرى فيه تشويهًا لسماحة وتعاليم هذا الدين الحنيف، من تلك الأفعال والأقوال، وبخاصة تلك التي يدّعون فيها التشبّه بالنبيّ محمد (ص)، أو جرَّاء خطإٍ في فهم نصوصٍ من آيات القرآن الكريم، أو ما كان استغلالا لما احتواه بعض ما وصل إلينا من كتب التراث، من دون التدقيق والتحقّق من صحته أو سلامة وصوله إلينا؛ لعلني أساهم، مع الغيارى والحريصين،

في الحفاظ على نقاوة الإسلام، وإعادة مسيرة من أخطأ من المسلمين إلى الطريق القويم، كما بلّغنا إيّاه الرسول (ص)، بما نزّله الله، عزَّ وجلَّ، عليه في آيات القرآن الكريم. إذ إنّي أرى أنّ جُلّ ما نحتاج إليه اليوم، لتلك الغاية، هو تبيان الخاطئ من الممارسات والأفعال والأقوال، والاقتناع بوجوب التخلّص منها. ولذا عمدت إلى وضع هذا الكتيّب، الذي عرضتُ فيه أمثلةً من بعض تلك الممارسات، نتيجة لفهمٍ غير سليم لنصوصٍ من آيات القرآن الكريم، أو فيها ما يخالف أخلاق وصفات النبيّ (ص)، الذي قال عنه، عزّ وجلّ: **{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}**.

ورغبة مني في التغيير عن الأساليب التقليدية في مثل هذا النوع من الأبحاث، فقد عمدت إلى عرضِ ما جال في خاطري في هذا السياق، على شكل حوارٍ تخيّلته جرى، في بضع لقاءات، بين شخصين وهميين، مسلمين مؤمنين، جمعتهما مقاعد

الدراسة، في المرحلتين الثانوية والجامعية. أحدهما، الشيخ إبرهيم، تقليديّ التفكير، وبعدما أنّهى دراسة الدين الإسلامي، اعتبر أن عمل رجل الدين مهنةٌ تؤمّن له موردًا ماليًّا يعيش منه في بحبوحة، هو وعائلته؛ وكان قد قبِلَ كلَّ ما درسه في الجامعة، من دون اعتراضٍ أو تحقّق أو تدقيق، وكما جاء في الكتب المقررة، وعلى ألسنة الأساتذة المحاضرين؛ ولكنّه لم يكن متحجّرًا متمسّكًا بحرفيّة ما تلقّنه، بل كان يحترم رأي الآخر ويستمع إليه، فإن اقتنع بصوابه قبله وتبنّاه بدوره. والثاني، الشيخ سالم، منفتح واسع التفكير، يدرس ويمحِّص بتجرّدٍ وإيجابية، ويستند في أبحاثه على أسسٍ علمية ومنطقية، ولا يتبنّى إلّا ما يقتنع به عقله قبل قلبه، وما لا يتعارض مع مفهومه لما جاء في القرآن الكريم.

فأرجو الله، عز وجل، أن أكون قد وُفّقتُ في تبيان ما أنشده، وأن يلهمنا جميعًا، السعي الدائم إلى ما فيه الخير للإسلام والمسلمين، وللناس أجمعين.

أيار (مايو) 2021 / رمضان – شوال 1442

أسامة كامل أبو شقرا

اللقاء الأول

كانت الحرب[1] مستعرةً في لبنان، يوم نال كلٌّ من إبرهيم وسالم الشهادة الثانوية العامّة، بعدما ترافقا طوال تلك المرحلة الدراسية. وبعد حصولهما على منحة تعليميّة من إحدى الدول العربيّة، تحقيقًا لرغبتهما في دراسة الدين الإسلاميّ، انتقلا إلى تلك الدولة، للدراسة في إحدى جامعاتها، حيث أمضيا أربع سنواتٍ لم يفترقا فيها يومًا واحدًا.

وبعد تخرجهما، اضطرتهما أحداث تلك الحرب أن يفترقا، إذ استقرّ إبرهيم في بيروت، بينما سافر سالمٌ إلى كندا، فانقطع التواصل بينهما، جرَّاء تلك الحرب، ولم يعد، بالتالي، يعلم أحدهما شيئا عن الآخر. إلى أن جمعهما القدر إثر انتهاء أمسية شعريّة، كانا مدعوَّين إلى سماعها، في قاعة إحدى الجمعيات

1 الحرب المسماة زورًا "أهلية" التي بدأت في شهر نيسان 1975.

الثقافية في بيروت. وبعد تبادل التحيّاتِ وبثِّ الأشواق بين رفيقين التقيا بعد فراقٍ لنيّفٍ وعقدين من الزمن، اتفقا على اللقاء في اليوم التالي.

الشوق إلى اللقاء وسماعِ أخبار كلٍّ منهما، جعل الاثنين لا يتأخران عن الموعد المحدّد ولو لدقيقة واحدة. وبعد تبادل السلامات، بادر الشيخُ إبرهيمُ صديقَه بالسؤال قائلًا: ولكنْ يا شيخ سالم، إنّي أراك من دون العمامة والجُبّة اللتين كنت ترتديهما حتى يوم افترقنا. وأين تلك اللحية التي كانت تزيّن محيّاك؟ وعسى المانعُ خيرًا. وأرجو الله أنك لم تكن قد تخلّيت عن ديننا الحنيف أيضًا؟

فأجابه الشيخ سالم: معاذ الله، بل كلّما مرَّ يومٌ، أراني ازددت فيه إيمانًا عمّا قبل. ولكنْ، أخبرني أنت أولًا عن أحوالك الشخصية والعائليّة وعمّا عملت منذ افترقنا.

الشيخ إبرهيم: بعدما عدتُ إلى لبنان، وبعد سفرك بمدة وجيزة، دخلت في عداد العاملين في دار الفتوى، ولم أزل حتى اليوم. ودخلي جيدٌ، ولله الحمد، وأعيش في بحبوحة، مع عائلتي في شقة فسيحة اشتريتها بعد ولادة ابنتي عائشة، وهي الثانية في ترتيب الأعمار. فقد رزقني الله صبيين وبنتًا كبيرهم، خليل، يرغب، بعد نيله الشهادة الثانويّة العامّة، في دراسة الهندسة في الجامعة الأميركية في بيروت، وصغيرهم طه، وجميعهم يتعلّمون في أفضل المدارس الخاصّة. وفي كلّ ثلاثة أو أربعة أعوام أشتري سيارة جديدة بدل سابقتها. هذه لمحة سريعة موجزة عن أحوالي. وماذا عنك أنتَ؟

الشيخ سالم: بعد عودتي إلى لبنان، وكانت الحرب لم تزل مستعرة كما تعلم، اقترح عليَّ والدي أن أزور عمّي في مدينة مونتريال في كندا. ولم يطل بي الأمر حتى أعجبت بتلك المدينة وبأنظمتها وقوانينها ونظافة شوارعها، وبرقِيِّ معاملة الإنسان

فيها. فأعلمت عمّي برغبتي في الاستقرار فيها. فرحّب بالأمر، وبخاصّةٍ أنّه كان لم يزل عازبًا ويعيش وحيدًا. وقد اكتشفت، بعد بضع سنوات، انّ تلك الزيارة كان قد نسَّقها والدي معه كي يبعدني عن جوِّ تلك الحرب. فقال لي: يا ابن أخي، إنّ أعداد أبناء الدول العربية تزداد يومًا بعد يوم في هذه المدينة، فما رأيك في أن تمتهن تعليم اللغة العربية، وقد أصبحتَ عالمًا في الكثير من دقائقها وقواعدها؟ وقد علمت أنّ بضع مدارس حكومية تخصّص أسبوعيًّا بضع ساعاتٍ لتعليمها. هذا إلى جانب برامج تعليمها في المعاهد الجامعيّة، والمدارس الخاصة التابعة لجمعيّات عربيّة إسلاميّة. وقد علمت أيضًا أن الأجور التي يتقاضاها المدرّسون مرتفعة نسبيًّا عن غيرها.

فلم يطل بيَ الأمر حتى تعاقدت مع مدرسةٍ تابعةٍ لإحدى تلك الجمعيّات. وكان هذا بداية عملي في مهنة التدريس، في المدارس أولًا، ثم في الجامعات. كما انتسبت، في الوقت عينه،

إلى إحدى جامعات المدينة لمتابعة الدراسة العليا في الإسلام. وقد اكتشفت في المدارس والجامعات التي عملت فيها، أنّ الانجراف إلى التعصّبِ والغلوِّ قد بدا جليًّا في سلوك وتفكير المدرّسين في معظم المدارس الإسلاميّة، وبين المشرفين عليها وعلى الجمعيّات والمساجد. كما لم يسلم منه طلّاب الجامعات في معظم معاهدها.

وقد جمعتني الأقدار في الجامعة، التي كنت قد التحقت بها، بفتاةٍ لبنانيةٍ مسلمةٍ مثقفةٍ، اسمها نوال. ولم يطل بنا الوقت حتى تزوجنا، ثم اشترينا بيتًا جميلا تحيط به حديقته الخاصّة. ما لم أكن أحلم يومًا في أن أتملّك شبيهه في لبنان. وقد دفعنا ثمنه بسلفة من أحد المصارف، وبفوائد متدنيّة، تسدّد على أقساطٍ شهريّةٍ، يقلُّ واحدُها عن بدل الإجارة الشهريّة لمثله. ورزقنا الله صبيًّا، سامر، يبلغ اليوم السادسة عشر، ثم بنتًا، سمر، في

الرابعة عشر. وقد عدنا للعيش في لبنان منذ ما يقارب السنوات الأربع لنكون بالقرب من أهلي وأهل زوجتي.

الشيخ إبرهيم: ألهذا إذًا قد تخليت عن العمامة والجبَّة؟

الشيخ سالم: لا يا صديقي، ليست عيشتي في كندا هي السبب. بل ما رأيته من كثيرٍ ممّن يسمّون أنفسهم "رجال الدين"، جعلني أزداد مقتًا لهذا الزّيِّ، الذي أرغمني في السابق على ارتدائه، نظامُ المعهد الجامعي الذي درسنا فيه معًا.

الشيخ إبرهيم: وبعدما عدتَ إلى لبنان، لماذا لم تستعده؟

الشيخ سالم: لأنني لم أعد استسيغه.

الشيخ إبرهيم: ولكنّه يزيدك وقارًا واحترامًا في عيون الناس.

الشيخ سالم: إن كان مظهري الخارجيُّ هو علّة احترام الآخرين لي، لا عقلي وعلمي وأخلاقي وسلوكي، فلا أريد هذا الاحترام، لاقتناعي بأنَّ "المرء بأصغريه، قلبه ولسانه".

الشيخ إبرهيم: ولكنّه يميّزك عنهم!

الشيخ سالم: وبماذا أتميّز أنا عن سائر الخلق؟

الشيخ إبرهيم: لأنّك رجل دينٍ.

الشيخ سالم: وهل في القرآن الكريم رتبة اسمها "رجل دينٍ"، أو ما شابهها؟

الشيخ إبرهيم: لا لم ترد في القرآن الكريم، بل أصبحت عُرفًا وتقليدًا منذ زمنٍ بعيد.

الشيخ سالم: تقليدًا لمن؟

الشيخ إبرهيم: ألم يكن النبيّ (ص) والصحابة، والأئمة والفقهاء من بعدهم ملتحين ومعمّمين؟

الشيخ سالم: وهل يتوجّب علينا أن نتشبّه بمظهرهم الخارجيّ الذي كانت تفرضه عليهم عواملُ الطبيعة والبيئة التي كانوا يعيشون فيها؟ فلو كانوا يعيشون في كندا مثلا فهل كانوا

سيرتدون الثياب نفسها التي كانوا يرتدونها في الصحراء؟ ثمّ ماذا نفهم من أمره تعالى لرسوله الكريم: {**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**}[1]؟ وأعتقد جازمًا أنك تعرف الفرق بين: "اتّبعوني" و"قلّدوني". وأنت وأنا نعرف أنّه يريدنا (ص) أن نتّبعه في ما أنزل الله عليه: {**اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**}[2]. {**وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**}[3].

الشيخ إبرهيم: هذا رأيك، وأنا أحترمه. وماذا عن الصلاة، فهل هجرتها أيضًا؟

---

1 (آل عمران 31)

2 (الأعراف 3)

3 (الزمر 55)

الشيخ سالم: لا يا صديقي، لن أتخلّى عنها ما حييت، وكذلك عن الصيام، ما لم يمنعني مانعٌ صحيٌّ، لا قدّر الله.

الشيخ إبرهيم: وفي أيّ مسجدٍ تصلّي؟

الشيخ سالم: إنّ تحجّر الملتحين المعمّمين في كندا، وتمسّكهم بالقشور من دون الجوهر، جعلني لا أقرب المساجد فيها إلّا في المآتم. ولمّا عدت إلى لبنان كاد الجامع القريب من سكني، أن يجعلني أترحّم على مساجد مونتريال.

الشيخ إبرهيم: وكيف كان ذلك؟

الشيخ سالم: لقد كان انتقالنا إلى مسكننا، في بيروت، في أيام الصيف. وفيه، كما تعلم، غالبًا ما تُترك النوافذ مفتوحة معظم ساعات النهار والليل. وفي أول يومٍ لنا فيه، وعند أول وقتٍ للصلاة حلَّ بعد ذلك، وكان ظهرًا على ما أذكر، انطلق صوت المؤذّن، فنقّزتنا شدّةُ علوّه وكِدنا، أنا وأفراد عائلتي نثبُ عاليًا،

إذ أحسَّ كلٌّ منّا أنَّ أمرًا جللا قد حصل. وتكرّر ذلك عند كلّ أذان لعدّة أيام. ولم تزل حتى اليوم، تزعجني شدّة صوته. ولمّا سألت أحد الجيران قال بأن مكبرات الصوت المنصوبة في أعلى المئذنة، قد تزيد قوتُها عن الألف "واط". فتخيلت بأن المؤذّن يريد إسماع صوته إلى أبناء صيدا جنوبًا وطرابلس شمالًا.

فقطعت قهقهاتُ الشيخ إبرهيم كلامَه، ثم أتبعها بقوله: هذا ما يحصل فعلًا، لا في بيروت فقط، بل في معظم، إن لم نقل في جميع أنحاء البلاد العربيّة. وقد تعوّدنا عليه.

الشيخ سالم: ولماذا لا تتخذون في دار الفتوى، الإجراء اللازم لوضع حدٍّ لهذا؟

الشيخ إبرهيم: وهل تريد منع الأذان؟

الشيخ سالم: لا يا صديقي، بل جلّ ما أريد هو وضع حدٍّ لما تتسبّب به هذه المغالاة في الجهر بالصوت، من أذًى للأطفال

والمسنّين والمرضى. وألم يقل الله تعالى: **{وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا}**[1]؟ وقد قال أحد الحكماء: "ما زاد عن حدِّه انقلب إلى ضدِّه". وإن كان المؤذّنون يعتقدون أنّ الصياح سيدفع الناس إلى الصلاة، فهذا وهمٌ، لأنّ من يرغب في الشيء يسعى إليه بنفسه، فالطعام لا يأتي الجائعَ، بل الجائعُ هو من يسعى للحصول عليه، وكذلك على المصلّي أن يحرص على تذكُّر أوقات الصلوات. وهكذا يفعل المسلمون في البلاد الغربيّة حيث لا وجود للأذان من المآذن إن وجدت. ثمّ لا ننسى الوسائل الحديثة، وأوّلها هذه الهواتف الذكية، بما يمكن أن تُزوَّدَ به من البرامج الإليكترونيّة التي تسهّل الكثير من أمورنا، ومنها تذكيرنا بأوقات الصلاة. كما أنّني أرى أنَّ من يحرص على تذكّر أوقات الصلاة بنفسه، يزداد أجرًا عن ذاك الذي يعتمد على من يذكِّره

1 (الأحزاب 58).

بها. واليوم وقد قاربت أن تختفي ظاهرة "المسحِّر"، فهل انقطع المسلمون عن الصيام؟

كما يحضُرني ما سمعته مرّة من أحد المسنّين، متأففًا من شدّة صوت الأذان، إذ قال: قبل اعتماد مكبِّرات الصوت لبثِّ الأذان، كنّا نتمتّع بسماع صوت المؤذّن، يصدح على طبيعته. بينما تزيد اليوم، تلك المكبرات في معاناتنا من ضجيج أصوات أبواق ومحرّكات السيّارات والشاحنات والدرّاجات الناريّة وغيرها.

الشيخ إبرهيم: لا أخفي عليك يا صديقي، بأن سلطة دار الفتوى محدودة في هذا الشأن. وقد حاولتْ ولكنّها لم تُفلِحْ.

الشيخ سالم: عُذرًا! لم أفهم؟! هل تعني بقولك هذا أن ليس لدار الفتوى سلطةٌ على أئمّة المساجد والمؤذّنين؟

الشيخ إبرهيم: أجل يا صديقي، هذا هو الواقع. إذ إنّ معظم المساجد تتولَّى أمورَها، بل وتسيطر عليها سيطرة كاملة، جمعيّاتٌ "خيريّة". وفهمك كفاية.

لم يستغرق هذا اللقاء كثيرًا من الوقت، إذ قطعه الشيخ سالم قائلا: عُذرًا يا شيخ إبرهيم، إنَّ عليَّ أن أذهب الآن، فقد حانت ساعة موعد سبق أن توافقت عليه مع أحدهم، منذ ما قبل لقائنا بالأمس. ولكنْ، هل لنا أن نلتقي غدًا أو بعده إن شئت؟ فشوقي لمحادثتك لا تكفيه ساعةٌ أو ساعتان.

الشيخ إبرهيم: حسنًا وإلى بعد غدٍ إن شاء الله.

وانصرف الاثنان كلٌّ في وجهته، بعد أن حدّدا ساعة ومكان لقائهما القادم.

اللقاء الثاني

بعد تبادل التحيّة وعبارات المجاملة، في هذا اللقاء، والسؤال عن بعض الأمور الشخصيّة، **قال الشيخ إبرهيم**: أرجو، يا صديقي، أن تُكمل ما كنت توضِحُه أوّل أمس عن تجنُّبك المساجد في بيروت، فهل هناك سببٌ آخر غير صوت الأذان؟

الشيخ سالم: بالتأكيد فصوت الأذان ليس له التأثير الكافي ليكون السبب الوحيد في ذلك. فالأهمّ هو ما لمستُه لدى الكثيرين، من الغلوّ والتعصّب الطائفيّ والمذهبيّ، ما يقود إلى التحجّر الفكريّ، والابتعاد عن الكثير من تعاليم القرآن الكريم، والتحوّل إلى ما قرأوه في كتب التراث، ومن دون أن يتحقّقوا من صحّته أو مدى تطابقه، أو مخالفته لكتاب الله.

الشيخ إبرهيم: أإلى هذه الدرجة ترى أننا قد ابتعدنا عن تعاليم ديننا؟

الشيخ سالم: اسمع يا صديقي، إنّ جعبتي ملأى بالملاحظات، ولو لم أكن متأكدًا من انفتاح عقلك، ومراعاتك لعُرى الصداقة التي تربط بيننا، لتجنّبتُ إسماعك أيًّا ممّا يجول في خاطري، لأنَّ ما سبق وسمعتُه من كثيرٍ من "الملتحين" جعلني أجتنبُ كثيرًا الجدال في مثل هذه الأمور. واعذرني في تسميتهم ب"الملتحين" لأنّها أفضل ما يمكنني أن أصفهم به لمغالاتهم وتعصّبهم بل وتحجّر أفكارهم أيضًا. وفي رأيي لا يتعصّبُ ويتحجّرُ تفكيره سوى الجاهل. حتّى أنّ بعضهم، في كندا، قارب أن يتّهمني بالكفر فور سماعه بداية كلامي في تبيان أنّ قول أحد من يسمّونهم "السلف الصالح"، يخالف ما جاء في إحدى آيات القرآن الكريم، حتّى قبل أن يسمع نصَّ تلك الآية، أو ما هي تلك المخالفة.

الشيخ إبرهيم: هذا مؤسفٌ حقًا. ولكن هذا كان في كندا كما تقول.

الشيخ سالم: صدّقني يا شيخ إبرهيم، فقد كاد أحدهم، يفعل الشيء نفسه، هنا في بيروت، التي يصفونها بمدينة العلم والنور.

الشيخ إبرهيم: دعنا منهم، وأكمل عمّا يزعجك في المساجد.

الشيخ سالم: قصدت ذلك الجامع القريب من مسكني، لصلاة أوّل يوم جمعة، مباشرة بعد انتقالنا إليه، فإذا بي أشعر بأنني أدخل بهوَ أحد أفخم الفنادق، لما فيه من أفخر أنواع السجّاد والثريّات. وكرّرت ذلك ثلاث مرّات متتاليات. وفي كلٍّ منها كان معظم كلام الخطيب محصورًا، في زواريب السياسة المحليّة كتعظيمِ الخطِّ الذي يتّبعه، ومهاجمةِ خطٍّ أو خطوط خصومه. وكأنّه يريد أن يحشد الجماهير للسير خلف "زعيمه". ولم يتطرّق ذلك الخطيب، إلى الوعظ بما يليق بالمسلم وأخلاقه وسلوكه وتعامله مع الآخرين، من أبناء وطنه، ولا إلى الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر، إلّا عرضًا. وقد سألت بعضًا من

الأصدقاء الذين يقصدون جوامع أُخرى، فكان جواب معظمهم مماثلًا. وقد أفادني أحدهم أنّ أحد الخطباء كثيرًا ما يجنح إلى الإثارة الطائفيّة أو المذهبيّة، أو حتى إلى تكفير من يخالفه في الدين أو المذهب.

ألم يكن الأجدى بأولئك الخطباء، الذين يعتبرون أنفسهم رجال دين الإسلام، أن يبثّوا في المصلّين روح المحبّة واحترام رأي الآخر، عوضًا عن زرع بذور التفرقة والتعصّب في نفوسهم؟ وقد قال تعالى: {**وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ...**}[1]. فهل أشار، تعالى، في هذه الآية إن كانوا مسلمين أو غير مسلمين؟

وأين هم من قوله تعالى: {**وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ**

1 (النساء 36).

وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ* لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ*} (التوبة 107-108). ولا تكون الطهارة للجسد فقط، بل هي للنفوس أيضًا، كما في قوله تعالى: **{... أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}** (المائدة 41).

والمؤسف أيضًا، يا شيخ إبرهيم، أنّهم يذيعون تلك الخطب ووقائع صلاة الجمعة بمكبّرات الصوت كما الأذان.

الشيخ إبرهيم: وما المانع في ذلك؟ وهذا النقل، قد لا يستغرق أكثر من ساعة واحدة في الأسبوع؟

الشيخ سالم: قد أتقبّل الأمر لو كانت تلك الخطب محصورةً في شؤون الدين والأخلاق والسلوك، بعيدة عن التعصّب المذهبيّ أو السياسيّ، ومن كلِّ ما ينفّرُ أو يزعج الناس من

مختلف الملل والنحل، كما أسلفتُ. ثمّ ألا ترى أنّ في إذاعة الصلوات ما يخالف قوله تعالى: **{وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً}**[1]؟ ثم إنّي أرى أنّ في ذلك "الصِّياح" ما قد ينفِّر كثيرين من المؤمنين، وأنا أحدهم، وهذا ما يخالف أمر النبيّ (ص) إلى مُعاذٍ وأبي موسى حين بعَثَهما إلى اليَمنِ، بقوله: "يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا...". ثمّ ألا يمكن أن يجنح أحد السامعين، جرّاء ذلك الإزعاج، إلى السُّباب والشتائم بحقِّ الدين أو النبيّ (ص)...؟ أفلن يكون الخطيب والمؤذّن المسبّبين في ذلك؟

ففي رأيي يجب أن تكون خطبة الجمعة بمثابة محاضرة أسبوعية في شؤون الدين وسلوك وأخلاق المسلمين، انطلاقًا مما جاء في كتاب الله.

1 (الإسراء 110).

الشيخ إبرهيم: والمؤسف يا صديقي، أنّ هذا أيضًا عائدٌ إلى تفرّدِ "الجمعيّات" في هذا الأمر، كتفرّدها في أمر الأذان. ولكن، هل تسنّت لك زيارة البيت الحرام في حجٍّ او عمرة؟

الشيخ سالم: لا، لم افعل. وهل حَجَجْتَ أنت؟

الشيخ إبرهيم: أجل ثلاث حجاتٍ، والحمد لله.

الشيخ سالم: وهل رأيتَ أيَّ تغيير عمّا علّمونا إيّاه، في الجامعة؟

الشيخ إبرهيم: أجل، ولكن في بعض الأمور الصغيرة. وهذا ممّا سبق أن شرحه لنا الشيخ المحاضر في الجامعة، رادًّا سببه إلى اختلاف آراء أئمّة المذاهب.

الشيخ سالم: أجل لم أزل أذكر ذلك جيدًا. وما كان سؤالي إلّا لأعقّب بأنّهم يعتقدون أنَّ الحجَّ مناسك شكليّة فقط. بينما ما أفهمُه أنا، أنّه بمثابة مؤتمر عامٍّ للمسلمين تُعقد فيه ندواتٌ ولقاءاتٌ للحوار البنّاء، وتُلقى فيه محاضرات تثقيفيّة وخُطبٌ

توجيهيّة، في الدين وفي أخلاق وسلوك المسلم وتعامله مع الآخرين، مسلمين كانوا أو غير مسلمين. ألا تذكر أنّ خطبة النبيّ (ص) في حِجّة الوداع، كانت بمثابة محاضرة توجيهية أرست قواعد كثيرةً لم نزل نعمل بها حتى يومنا هذا؟ ألم يكن أجدر بالقيّمين على أمور الحجِّ أن يتشبّهوا، ولو إبّان الحجِّ فقط، بما فعل النبيّ (ص)، عوضًا عن التشبّه بمظهره؟ ويحضرني الآن ما حدّثني عنه أحد كبار السنِّ في كندا، إذ قال: "في العام 1991، أقامت المملكة العربيّة السعوديّة، في قصر المؤتمرات، هنا في مونتريال، معرِضًا لبعض منتجاتها، بالإضافة إلى صور لمناظر طبيعية من مختلف مناطق المملكة، وإلى مجسّمين، أحدهما للحرم النبويّ في المدينة المنورة، والثاني للحرم المكيّ. وما أن تخطّتْ قدماي مدخل كلٍّ منهما حتّى راح يتملّكني شعور بالرهبة من عظمة الخالق، لإحساسي بأنّني أطأ أرض أقدس مكانٍ على وجه الأرض. ولكنّني يوم حججت،

بعد ذلك بعدة سنوات، لم أشعر أبدًا بتلك الرهبة القدسية، بل حلَّ محلّها شعور سائحٍ يتجول بين الآثار."

الشيخ إبرهيم: اعذرني يا شيخ سالم إذا سألتك عن السيدة حرمك، فهل كانت محجّبة قبل زواجكما، أم تحجّبت بعده؟

الشيخ سالم: لا يا صديقي لم تكن "مختمِرة"، ولم أطلب منها ذلك لا قبل الزواج ولا بعده، لأنّني لا أراه فرضًا على المسلمات. وقد قلت "مختمِرة"، لأن الصواب لغويًا أن نقول في غطاء الرأس أو الشعر: "الخِمار" أو "النصِيف"، لا "الحجاب".

الشيخ إبرهيم: كيف تقول بأنّه ليس فرضًا على النساء؟ ألم يقل تعالى: {**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ**}[1]، و{**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ**

1 (59 من سورة الأحزاب)

أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ}[1]؟؟؟؟

الشيخ سالم: أرجو أن تسمعني حتّى آخر كلامي في هذا الموضوع. إنّ تغطية شعر المرأة عادةٌ متوارثةٌ منذ ما قبل بعثة النبيّ محمد (ص). فلا ينكر أحدٌ أنّ أشكال وألوان وأنواع الثياب التي ارتداها الإنسان منذ القدم، كانت دومًا ترتبط بطبيعة وجوِّ الناحية من الأرض التي يعيش عليها. ولذا فإنّ العيش في الصحراء كان يفرض على سكّان شبه الجزيرة العربيّة، منذ ما قبل ظهور الإسلام، أن يرتدوا ثيابًا تحميهم من حرارة وأضرار أشعّة الشمس الحارقة. فكان الرجال والنساء، على حد سواء، يرتدون الثوب الطويل الفضفاض، الذي يغطّي الجسد بكامله، كـ "الدشداشة" التي لم يزل سكّان المملكة العربيّة السعوديّة ودول الخليج، يرتدونها على أنّها زيُّهم

1 (31 من سورة النور)

التقليديّ، بالإضافة إلى غطاء الرأس؛ بشكل لا يظهر من جسم الإنسان سوى الوجه، واليدين إلى المعصمين، والقدمين إلى الكعبين. وكثيرًا ما كانوا يغطُّون الفم والأنف لاتّقاء رمال العواصف في الصيف، أو البرد القارس في الشتاء..

كما أنَّ تغطية الرأس والجسد لم تكن تقتصر فقط على سكّان تلك الصحراء، بل كانت منتشرةً في جميع بلدان الشرق الأوسط، إن لم نقل في جميع أنحاء العالم. فلو زرنا مثلًا أيًّا من المتاحف لرأينا أنّ الثياب التقليديّة لمعظم شعوب العالم كانت تغطّي كامل الجسد، من دون الوجه واليدين. كما أنّنا إن زرنا أيّ كنيسة لإخواننا المسيحيّين فلن نجد فيها أيقونة واحدة تظهر فيها صورة السيدة مريم العذراء (ع) من دون غطاء الرأس؛ بل أكثر من ذلك فإنّنا نراها دومًا لا يظهر من جسمها سوى الوجه واليدين. ولكن اليوم، ومع رفاهية وسائل النقل

والتكييف فقد اختلف الأمر في نوع وشكل اللباس في جميع أنحاء العالم.

أمّا تمسّك بعضهم باعتبار هذا "الخمار" فرضًا على المرأة المسلمة، أو رمزًا دينيًّا أيضًا، فأراه يعود لما فهموه، أو أرادوا فهمه، من الآيتين اللتين ذكرتَهما مشكورًا. بينما ما فهمته أنا منهما، فيخالف فهمهم.

ففي تفسيره للآية الأولى[1] يقول ابن كثير: "كان ناس من فسّاق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طرق المدينة يتعرضون للنساء وكانت مساكن أهل المدينة ضيّقة فإذا كان الليل خرجت النساء إلى الطرق يقضين حاجتهنّ فكان أولئك الفسّاق يبتغون ذلك منهن، فإذا رأوا المرأة عليها جلباب قالوا هذه حرّة فكفّوا عنها، وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب قالوا هذه أمة فوثبوا عليها، وقال مجاهد يتجلببن فيعلم أنّهنّ حرائر

1 (59 من سورة الأحزاب)

فلا يتعرّض لهن فاسق بأذى ولا ريبة." ولهذا في رأيي أضافت الآية: {ذلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ}.

وفي لسان العرب: "الـجِلْباب: القَمِيصُ. والـجِلْباب: ثوب أَوسَعُ من الـخِمار، دون الرِّداءِ، تُغَطِّي به الـمرأَةُ رأْسَها وصَدْرَها؛ وقـيل: هو ثوب واسع...". ومن نصّ هذه الآية نتحقّق أن الجلباب كان معروفًا قبل نزولها، أي قبل الإسلام، وأنَّ ما تأمر به، بقولها: {يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ} هو ستر صدر المرأة كي لا تتعرض للأذى.

ويعزّز رأيي هذا ما قاله الواحدي[1]، في أسباب نزول هذه الآية: " أَخرج ابن سعد في الطبقات عن أَبي مالك قال: كان نساء النبيّ صّلى الله عليه وسّلم يخرجنَ باللَّيل لحاجتهنَّ، وكان ناس من المنافقين يتعرّضون لهنَّ فيؤْذَيْنَ، فشكوا ذلك، فقيل ذلك

1 أسباب النزول – لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري – دار المعرفة بيروت – عام 2000.

للمنافقين فقالوا: إنَّما نفعله بالإماء، فنزلت هذه الآية: {**يَا أَيُّهَا النبيّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ**...}. ثمَّ أخرج نحوه عن الحسن ومحمد بن كعب القرظي."

أما الآية الثانية[1]، فيقول محمد علي الصابوني، في كتابه "صفوة التفاسير"، في قوله تعالى: {**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ**}: "أي وليلقين الخمار وهو غطاء الرأس على صدورهن لئلّا يبدو شيء من النحر والصدر".

وفي هذا أولا، دليلٌ، كما أسلفتُ، على أنّ الخمار كان موجودًا عند العرب قبل الإسلام، وإلّا لما كان له اسمٌ، ما يعني أنّه لم يُفرض إبّان الدعوة، وثانيًا، أنّه أمرٌ بتغطية الجيوب. وفي لسان العرب: "الجَيْبُ: جَيْبُ القَمِيصِ والدِّرْعِ، والجمع جُيُوبٌ. وفي التنزيل العزيز: ولْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنّ على جُيُوبِهِنَّ." والجيب هنا هو الشق الذي يفصل بين النهدين، وهي بالتالي

1 (31 من سورة النور)

مشابهة في المعنى لما جاء في الآية الأولى لناحية ستر الصدر والنحر. وبالتالي فالمطلوب من المرأة المسلمة ارتداء الثياب المحتشمة. وهذا في رأيي، ما تحدِّده عادات المجتمع الذي تعيش فيه.

وهنا أسال: لماذا أغفلوا ذلك الجزء من الآية الأولى الذي يقول: **{ذلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ...}** والذي أفهم منه أنّ هذه الآية أُنزلت لرفع الأذى عن المسلمات. وهذا ما يجعلني أقول: إن كان غطاء الشعر هذا قد يتسبّب بالأذى للمسلمات والمسلمين المقيمين في بلاد الغرب بخاصة، فإنّي أرى وجوبَ التخلّي عنه، لرفع هذا الأذى. ولا ننسى أنّ هذا الأمر قد اضطرّ المسلمين، لا في كندا وحدها، بل في معظم البلاد الغربية، إلى خوض صراعاتٍ عديدة مختلفة الأوجه، ما كلّفهم الكثير من المتاعب، وصلت أحيانًا إلى درجة الأذية. ولا ننسى

أيضًا، أنّه تعالى قد أباح لنا أكل المحرّمات عند الضرورة، والذي جاء منه مبدأ: "الضرورات تبيح المحظورات".

الشيخ إبرهيم: ولكنّه، تعالى يقول: **{وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَآئِهِنَّ...}**[1]، فما هي هذه الزينة في رأيك؟

الشيخ سالم: لقد أوضحَتها الآية عينها بقولها: **{وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا}**، أي أنّ هذه الزينة، في رأيي، هي كل ما تخفيه الثياب التي ترتديها المرأة في كل مرّة.

الشيخ إبرهيم: على الرّغم ممّا في كلامك هذا من المنطق المقنع، فلن أطلب من زوجتي التخلّي عن الخِمار.

الشيخ سالم: وأنا يا صديقي، أحترم رأيك وإنّي أعتبر ارتداءه من عدمه، من قبيل حرّية المرأة الشخصيّة.

1 (31 من سورة النور)

الشيخ إبرهيم: يبدو لي يا صديقي، أنّ المدّة التي قضيتها في كندا، قد كان لها تأثيرٌ كبير على تفكيرك، وأرجو الّا يصل هذا إلى إيمانك.

الشيخ سالم: معاذ الله يا صديقي، فإنّ إيماني يرتكز على أسسٍ منطقية ثابتةٍ، اقتنعَ بها عقلي قبل فؤادي، مستقاةٍ من القرآن الكريم، الذي أؤمن بأن كلَّ حرفٍ فيه، هو من عند الله الخالقِ عزَّ وجل. ولكنْ، يوم كنّا ندرس في الجامعة، كان يجول في مخيّلتي العديد من الأسئلة التي شغلت حيّزًا كبيرًا من تفكيري. فلم أسأل عنها أيًّا من الأساتذة، كما لم أُفصِح، أمام أحدٍ ما، عن أيٍّ منها آنذاك، خوفًا من أن أتّهم بعدم الإيمان، لما كنت أسمعهُ من الشيوخ في محاضراتهم، عن تكفير كثير من السابقين، وبخاصّة من الفلاسفة والمفكرين، عندما كان أحد هؤلاء يبدي رأيًا ما، رأى فيه "أئمّةٌ" أو "فقهاء" من معاصريه، اختلافًا عمّا وصل إليهم عن صحابيٍّ أو إمامٍ، أو حديث عن

النبيّ (ص)، فقط لأن هذا الحديث قد ذُكر في أحد كتب التراث. ولا ننسى تلك "القدسية" التي يخصُّون بها صحيحي البخاري ومسلم.

الشيخ إبرهيم: أوتشكُّ بالأحاديث يا شيخ سالم؟

الشيخ سالم: لا ليس شكًا قاطعا، بل أراه شكًّا بنَّاءً للوصول إلى الحقيقة. وهل أنت على استعدادٍ لمناقشة تلك الأسئلة، لعلّنا نصل إلى أجوبة مقنعة عليها؟

الشيخ إبرهيم: أجل. بل إنّي بشوق لسماعها، وآمل أن يقودنا الحوار إلى الوصول إلى ما يضع حدًّا لما يقضُّ مضجعك جرّاءها. ولكن، ما دمتُ لا أعرف كم من الوقت قد نحتاج إلى ذلك، فهل تعتقد أن ما تبقّى لنا اليوم من الوقت كافٍ لمناقشتها بالكامل، وقد قاربت ساعة الغروب؟

الشيخ سالم: بالتأكيد ليس كافيًا، بل ولا تكفينا جلسة واحدة، فقد نحتاج إلى بضع جلسات. وإن شئت فلنخصّص واحدة كلّ يومين. وليكن لقاؤنا القادم في أحد المقاهي المطلّة على البحر، عوضًا عن هذا المقهى المقفل، وحبذا لو ندع الكلام في الأمور الشخصيّة إلى لقاءات أخرى. فماذا ترى؟

الشيخ إبرهيم: أراه رأيًا حسنًا. فإلى اللقاء بعد غدٍ إن شاء الله.

اللقاء الثالث

وصل الاثنان إلى المقهى، المتّفق عليه، في الوقت المحدّد واختارا طاولة في إحدى زواياه المطلة على البحر، ليكونا بذلك بعيدين قدر الإمكان عن سائر رُوّاده.

كان الشيخ إبرهيم يمنّي النفسَ في أن يتمكن من إعادة الشيخ سالم إلى الطريق القويم، وهذا ما جعله سبّاقًا في البدء في الحوار، فبعدما ارتشف جرعة من الشاي، قال: هيا يا صديقي، فبماذا تريد أن نبدأ حوارنا كما اقترحتَ في لقائنا السابق؟

الشيخ سالم: قبل البدء، أتمنى يا صديقي، أن نكون موضوعِيّيَن في نقاشنا، وأن يتقبّل كلٌّ منا رأي الآخر كي تكون نتيجته إيجابيةً ومقنعةً لكلينا.

الشيخ إبرهيم: سيكون ذلك، إن شاء الله.

الشيخ سالم: إنّ أهمَّ ما كان يشغلني من تلك الأسئلة، يمكن تصنيفه في مجموعتين رئيسيّتين: السُّنّة النبويّة والجهادُ في سبيل الله.

الشيخ إبرهيم: حسنًا، وبأيٍّ منهما نبدأ؟

الشيخ سالم: فلنبدأ بالجهاد الذي يشغل الناس، منذ انطلقت شرارةُ ما نشهده حاليًا من القتل والتقتيل باسمه، مع نهاية سبعينيّات القرن الماضي، على أرض أفغانستان، واتسعت بعدها إلى أنحاء متفرّقة من العالم، بما فيها بلاد إسلاميّة وعربيّة. فهل ترى يا شيخ إبرهيم، أنّه حقًّا جهادٌ في سبيل الله، بُنِي على الشروط التي حدّدها القرآن الكريم؟

الشيخ إبرهيم: ما دام هدف هذا القتال هو الذّود عن المسلمين وأرضهم فإنّي أراه جهادًا في سبيل الله.

الشيخ سالم: إذًا دعنا في البدء نستخلص من آيات القرآن الكريم، تعريفًا سليمًا لهذا الجهاد. ولندع جانبًا آراء وأفكار الفقهاء. ألسنا، أنت وأنا، قادرين على ذلك، ومن دون التأثّر بما وصل إلينا عنهم؟

الشيخ إبرهيم: ولكنَّهم بنَوا آراءهم تلك استنادًا على ما جاء في القرآن الكريم وفي السنّة النبويّة.

الشيخ سالم: وهل في القرآن الكريم نقصٌ ما، تظنُّ أنّ في السنّة النبويّة ما يتمِّمه؟

الشيخ إبرهيم: لا أقصد هذا أبدًا، وقد قال تعالى: **{مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ}**[1]. بل إنّي أفهم أن السنّة تبين تفاصيل ما قد يحتاج إلى ذلك.

1 (الأنعام 38)

الشيخ سالم: هذا جيدٌ، ولكن دعنا نعود إلى موضوع السنّة عند بحثنا في أمور الأحاديث. فهل لك أن تشرح لي مفهومك للجهاد في سبيل الله، كما حدّده القرآن الكريم؟

الشيخ إبرهيم: هو في رأيي، كلُّ قتالٍ للذود عن المسلمين وعن بلادهم.

الشيخ سالم: وهذا للأسف رأي الكثيرين، الذين يظنّون أن الجهاد في سبيل الله محصورٌ في القتال فقط، سواء بالسيف أم بغيره. وهذا ما أخالفهم الرأي فيه. فلو عدنا إلى أولى الآيات التي تكلّمت عن الجهاد لوجدنا أنّها نزلت على النبيّ (ص) في المرحلة المكّيّة من الدعوة، التي امتدّت على مدى ثلاث عشرة سنة قبل هجرته إلى المدينة، ولم تذكر كتب التاريخ أنّه، هو أو أيٌّ من صحبه، قد رفع سيفًا بوجه أحدٍ من الذين ظلموهم واضطهدوهم وآذَوهم وعذبوهم في تلك المرحلة. كما أن الله عزَّ وجلَّ، كان يوصيه بالصبر، قائلا: **{فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا**

الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ}[1]. وتلك الآيات، عنيتُ أولى آيات الجهاد، هي: **{فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا}**[2]، أي بالقرآن الكريم، و**{وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}**[3]، و**{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}**[4]. ومن هذه الآيات نفهم أن المقصود ب "الجهاد"، هو جهاد الحجّة والبرهان والإقناع، والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، بالكلام المقنع مما جاء به القرآن الكريم، وبطاعة الله وبالعمل الصالح وبالأخلاق والسلوك حسب تعاليمه.

الشيخ إبرهيم: ولكن أين ذهبتَ بالآيات التي تدعو إلى القتال؟

---

1 (الأحقاف 35)

2 (الفرقان 52)

3 (العنكبوت 6)

4 (العنكبوت 69)

الشيخ سالم: هذه الآيات جميعها مدنيّة، أي أنّها أُنزلت بعد الهجرة، كما تعلم. وإبّان القتال الذي بدأ إثر اعتداءات قريشٍ على النبيّ (ص) وأصحابه، ومحاولتهم قتله (ص)، واستمرَّ حتى ما قبل وفاته بقليل. وسأعود إليها لاحقًا.

الشيخ إبرهيم: فما هو تعريفك أنت للجهادِ إذًا؟

الشيخ سالم: إنّي افهم "الجهاد في سبيل الله" بأنّه كلُّ ما يقوم به المسلم، بماله أو بنفسه، قولًا أو كتابةً أو عملًا، في سبيل إعلاء دين الإسلام، وطائعًا الله، تعالى، في كلّ ما أمره به في القرآن الكريم، وبالصدق والسلوك الحسن والأخلاق الحميدة. ويمكن في رأيي أن يُقسم إلى قسمين: دائم ومرحليّ:

الجهاد الدائم: ويكون على نوعين: جهاد النفس وجهاد المال:

جهاد النفس: وهو في أن يجْهَد المسلم ليكون مسلمًا حقًّا وبكلِّ ما للكلمة من معنًى، حسب تعاليم دينه بحذافيرها، كما جاءت

في القرآن الكريم، لا في أداء الفرائضِ فقط، بل الأهمّ في السلوك القويم والأخلاق الحميدة والأمانة وإتقان العمل، صادقًا مع نفسه ومع الآخرين، مسلمين كانوا أم غير مسلمين، كما أمره الله، عزّ وجلّ، ومن دون تعقيدٍ أو تحجّرٍ أو غلوٍّ أو تعصّبٍ. وفي الحديث الشريف: "الخُلُقُ الحسَنُ نصف الدين"؛ وبطاعة الله، تعالى في ما حرَّمه، وبالعمل الصالح، كما في قوله: **{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُون}**[1].

وجهاد المال: وهذا واجبٌ على المقتدرين كلٌّ حسب إمكاناته **{لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا}**[2]. ويكون باستثمار الأموال لإيجاد فرص العمل وبالصدقات ومساعدة المحتاجين وبدعم المجاهدين. وهذا لا يعني فقط الذين يقاتلون في سبيل الله؛ بل

1 (النحل: آية 97)

2 (البقرة 286)

كلّ من كان عمله أو قوله جهادًا، من العلماء وغيرهم، ممن يحتاج منهم إلى المال لإتمام عمله، كتأسيس المدارس أو نشر الكتب القيّمة أو الأعمال الفنيّة الصالحة... **{مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِّ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُّ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللهُّ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}**[1]، و**{الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِّ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنًّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}**[2].

والجهاد المرحليّ أو الآنيّ وشروطه: وهو ما أراه محصورًا في القتال فقط، الذي حدّد القرآن الكريم شروطه، والتي استخلصتُها من آياته في خمسة شروط مجتمعة غير مجزأة:

أولًا: أن يكون القتالُ في سبيل الله، أي لإعلاء كلمة الله، التي هي دين الإسلام.

---

1 (البقرة 261)

2 (البقرة 262)

ثانيًا: أن يكون بوجه من يقاتل المسلمين في دينهم.

ثالثًا: أن يكون بوجه من يُخرج المسلمين من ديارهم.

رابعًا: ألّا يكون اعتداءً على أحد كائنًا من كان، بل هو لدرء الاعتداء فقط. أي دفاعًا عن النفس.

خامسًا: أن يدعو إلى هذا القتال من كان ذا صلاحية.

الشيخ إبرهيم: أراه تعريفًا حسنًا ومنطقيًّا. ولكن ماذا تعني بأن الجهاد بالقتال مرحليّ وآنيّ؟ وماذا إذًا عن الآيات التي تتكلم عن القتال، كيف ومتى ومن نقاتل؟ ولا ننسى أنّ القرآن الكريم أنزل لجميع الأمكنة والأزمنة، وبالتالي يجب أن تطبّق أحكامه مدى الدهر؟

الشيخ سالم: بالتأكيد لا أنكر أبدًا أنَّ أحكامه تطبّق مدى الدهر، ولكن يبقى فيه آياتٌ خاصةٌ بالوقت الذي أُنزلت فيه، ومنها على سبيل المثال:

آيات سورة المسد[1]، الموجهة إلى أبي لهب، وهو عمُّ النبيّ (ص) كما تعلم، وقد مات بعد عدة سنوات من نزولها. فعلى من تطبّق في أيامنا هذه؟

وآيات سورة قريش[2]، التي تتكلم عن رحلتي قريش في الصيف والشتاء. فأين هي قريش ورحلتاها اليوم؟

والآيات الخاصة بنساء النبيّ (ص)، فعلى مَنْ مِن نساء اليوم تطبّق أحكامها؟ وقد قال تعالى: **{يَا نِسَاء النبيّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء...}**[3]؟

وسنعود لاحقًا، إلى الآيات التي تتكلم عن القتال، بعد الانتهاء من الكلام في ما توصّلتُ إليه من الإجابات على بضع أسئلة، **أولها**: هل من الممكن أن يناقض الله نفسه بنفسه، وهو

1 هي السورة رقم (111)، {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ* مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ* سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ...}.

2 السورة رقم (106) {لإِيلَافِ قُرَيْشٍ* إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ*...}.

3 (الأحزاب 32)

خالق الأكوان وواضع سنن وقوانين الحياة والوجود التي تحكم سير هذه الأكوان وما فيها، بهذه الدقة اللامتناهية؟

الشيخ إبرهيم: بالتأكيد لا وألف لا. وما هو السؤال الثاني؟

الشيخ سالم: أليس القتل محرَّمًا؟

الشيخ إبرهيم: لقد قال تعالى: **{وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالحَقِّ}**[1]. وبالإضافة إلى الأديان السماويّة، فغير السماويّة منها تحرّمه أيضًا، كذلك القوانين الوضعيّة في جميع دول العالم، وتعاقب القاتل بأشد العقوبات، ومنها ما يصل إلى الإعدام.

الشيخ سالم: هذا صحيح، وقد سبق لي أن أحصيتُ خمسًا وعشرين آية من القرآن الكريم، يذكر فيها هذا التحريم. ولكن كيف يُحرِّمُ الله القتل وفي الوقت عينه يحرِّضنا على قتال وقتل غير المسلمين؟

1 (الإسراء 33)

الشيخ إبرهيم: وأين هذا التحريض؟

الشيخ سالم: هو في تلك الآيات التي تتكلّم عن القتال، والتي سألتني عنها منذ قليل، ومنها قوله: **{وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ...}**[1].

الشيخ إبرهيم: وما هو السؤال التالي؟

الشيخ سالم: هل يجوز إكراه غير المسلم على الدخول في الإسلام؟

الشيخ إبرهيم: لقد نهى تعالى عن هذا، كما في قوله: **{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...}**[2].

1 (البقرة 191).

2 (البقرة 256).

الشيخ سالم: ودعني أضيف قوله تعالى، مخاطبًا نبيَّه الكريم: **{وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ}**[1].

فكيف ينهى، عزّ وجلّ، عن الإكراه في الدين وفي الوقت عينه يأمر بقتال غير المسلمين حتى يدخلوا في الإسلام؟ كما في قوله تعالى: **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ للّهِ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *}**[2].

الشيخ إبرهيم: ولننتقل إلى السؤال التالي.

الشيخ سالم: كيف يكون تعالى "الرحمن الرحيم" والذي "كتب على نفسه الرحمة"، ثم يأمرنا بالقتل، كما في قوله: **{فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ...}**3، فهل تكون الرحمة في

---

1 (يونس 99).

2 (الأنفال 39).

3 (محمد 4).

القتل؟ ثم هل أحصيت يا صديقي عدد المرّات التي تقول فيها، في اليوم الواحد: "**بسم الله الرحمن الرحيم**"؟

الشيخ إبرهيم: بالتأكيد هذا الإحصاء صعب جدًّا.

الشيخ سالم: ثم ألا يقول لنا، عزّ وجلّ: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهَّ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَّ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**}[1]؟ قال: "لتتعارفوا" ولم يقلْ: "لتتقاتلوا" أو "ليذبح" بعضكم بعضًا. أم هل علينا، كمسلمين، أن نعيش في حالة حربٍ دائمة؟ وإن كان بعضُ أصحاب الغايات يريدون إفناء المسلمين كافّةً فليعلنوا الحرب، الخاسرة حتمًا، على أربعة أخماس بني البشر.

الشيخ إبرهيم: وفي الحديث عن النبيّ (ص) أنّه قال: "إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق".

1 (الحجرات 13).

الشيخ سالم: فهل يكون هذا الإتمام بالقتل؟ ولنتذكّر دومًا قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَّ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...}**[1] وبالتالي فهو لم يكلِّفْ أحدًا منّا، ولا حتى رسوله الكريم، بمحاسبة الآخرين فيما يؤمنون به، بل حصر هذا الأمر فيه وحده. وفي القرآن الكريم آياتٌ عديدات تضمن للناس حرّية الاعتقاد. أليس كذلك يا أخي وصديقي؟

الشيخ إبرهيم: أجل، وهذا ما يؤكده عزّ وجلّ، في قوله: **{وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ}**[2]

الشيخ سالم: ودعني أضيف أيضًا التالي: يقول كثيرٌ من المفسّرين بأن أول ما نزل من الآيات في موضوع القتال كان: **{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَّ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ***

1 (الحج 17).

2 (الكهف 29).

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ*}[1] وهذا يعني أنّه تعالى سمح للنبي وصحبه الذين أُوذوا وأُخرجوا من ديارهم، بالقتال لاسترداد حقوقهم. وهذا بالتأكيد، من قبيل الدفاع عن النفس، وحماية الأملاك، ما تقره الشرائع والقوانين بأجمعها. ثمّ إنّ الإذن يكون عادة لفترة محدّدة، وإذا طالت هذه الفترة فستنتهي حُكمًا مع وفاة من أُذِنَ له. ومن نصوص تلك الآيات نرى أن الأمر فيها كان بيد النبيّ (ص)، فستنتهي بالتالي فترة هذا الإذن بوفاته (ص). ثمّ لو أنّ القرآن الكريم قد أباح قتال غير المسلمين الدائم، كما يدّعي بعضهم، فهل كان النبيّ (ص)

1 (الحج 39-40).

وأصحابه بحاجة إلى هذا الإذن كي يقاتلوا مشركي قريش وحلفاءهم؟

الشيخ إبرهيم: ألهذا كلّه، قلتَ بأنّ الجهاد بالقتال مرحلي؟

الشيخ سالم: بل إنّني مقتنعٌ، تمام الاقتناع، بأنه انتهى، أيضًا، مع وفاة النبيّ (ص). وهذا الاقتناع لم أبنِهِ فقط على الأجوبة على ما سبق وأوردته من أسئلة، إذ إنّني قد عدت إلى جميع الآيات التي تكلّمت عن القتال، ودقّقت في معاني كلٍّ منها، على حِدَة، وفي مناسبة وأسباب نزولها، فتبيّن لي التالي:

أولًا: إنّ الغالبيّة العظمى لآيات "الجهاد" مدنيّة، ما يعني أنّها نزلت على النبيّ (ص) بعد هجرته وأصحابه من مكّة إلى المدينة. أما الآيات التي تكلّمت عن قتالهم المشركين ومن ناصرهم من سائر القبائل واليهود والمنافقين، فكانت جميعها مدنيّة، وكان نزولها إبّان ذلك القتال.

ثانيًا: وقد تبيّن لي من نصوصها وأقوال المفسرين وأسباب النزول أنَّ ما جاء في آيات "القتال والقتل"، كان مخصّصًا حصرًا للفترة أو الأيّام أو الأحداث التي نزلت إبّانها.

ثالثًا: لقد تكرّر في هذه الآيات الأمر بعدم الاعتداء ليكون القتال دفاعًا عن النفس. وفي حال كفَّ المعتدي عن القتال فلا اعتداء عليه، وإذا أسلم فالإسلام يقطع ما قبله، بالعفو والغفران عما سلف.

ولهذا كلّه قلت بأنّ الجهادَ بالقتالِ انتهى مع وفاة النبيّ (ص).

الشيخ إبرهيم: ولكنَّ الخلفاء استمروا بالقتال بعد وفاته (ص)؟

الشيخ سالم: هذا صحيح، ولكنّه لم يكن، في رأيي، جهادًا في سبيل الله. إذ بعد وفاة النبيّ (ص) وتولّي أبي بكر الخلافة عمدت بعض القبائل إلى شقّ عصا الطاعة على عمّاله، فمنهم

من رفض تأدية الزكاة، ومنهم من حاول مهاجمة العاصمة، ومنهم من أعلن ارتداده عن الإسلام للعودة إلى الحياة القبليّة، بالإضافة إلى من ادعى النبوّة. كلُّ هذا جعل أبا بكر، بصفته صاحب السلطة المركزيّة، أن يأخذ القرار بالقضاء على تلك الظواهر فكان ما سُمِّي بحروب "الرِّدّة"، بتعميم الجزء على الكلّ، وهي في رأيي نوع من الحروب الأهليّة للقضاء على النزعة الانفصاليّة في دولة حديثة التأسيس، وهو شبيهٌ بما حصل في الولايات المتّحدة الأميركيّة في القرن التاسع عشر عندما أعلنت بعض الولايات الجنوبية انفصالها عن الاتّحاد.

وبعد انتهاء تلك الحروب عمّت سلطة الخليفة أراضي شبه الجزيرة العربيّة بكاملها مُنشئة دولة عربيّة فتيّة ما لبثت أن بدأت تعمل على مدّ سلطانها، وإن تحت راية الإسلام، على ما جاورها من البلدان، شأنها شأن سائر الدول الفتيّة القويّة، إلى

أن بلغت شرقًا حدود الصين وغربًا المحيط الأطلسيّ وشمالًا بحر قزوين (أو الخزر).

الشيخ إبرهيم: شكرًا يا صديقي، وبارك الله بك، على هذا التحليل المنطقيّ المقنع. وقبل أن نفترق حتّى اللقاء القادم، فهل لديك ما ترى إضافته في موضوع الجهاد؟

الشيخ سالم: أجل يا صديقي، ألا ترى معي أنّ تلك الدعوة إلى الجهاد في أفغانستان كانت من صنع الولايات المتّحدة الأميركيّة؟ فهل جاء السوفييت إلى ذلك البلد لمحاربة مسلميه في دينهم أو لإخراجهم من ديارهم، كي ينطبق على محاربتهم أهمّ شروط الجهاد قتالا؟ علمًا بأنّني لا أنفي وجوب قتالهم، ولكنّني أراه حربًا للتحرير ولاسترداد السيادة والاستقلال. ثمَّ من أين جاءت تلك الغيرة المفاجئة للولايات المتّحدة على الإسلام والمسلمين، وتحديدًا في ذلك الوقت؟

وبالرجوع إلى قوله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**}[1]. أفهم أن الأمر الفصل هو محصورٌ بيد الله تعالى بما أنزله على رسوله الكريم الذي له وحده الحق في الدعوة إلى القتال ما دام حيًّا. أمّا أولو الأمر من بعده، فهم الذين يختارهم عموم المسلمين عملا بقوله تعالى: {**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ..**}[2]، وتبقى صلاحيّتهم مقيدة بما أمر به تعالى على لسان الرسول (ص). ولا أرى صفة "أولي الأمر" هذه تنطبق سوى على الخلفاء الراشدين فقط لأنّهم هم وحدهم الذين تولّوا بالشورى. وما دام لا وجود اليوم لجهة واحدة موحّدة، دينيّةً

1 (النساء 59).

2 (الشورى 38).

كانت أم زمنيّة، ترعى شؤون الإسلام والمسلمين معًا، فبالتالي لا يحقُّ لأيٍّ كان، ومهما كان موقعه، أن يدعو إلى الجهاد بالقتال.

ثم ما نراه منذ بدء حروب أفغانستان وحتّى يومنا هذا، ألم يكن كلّه بدعم وتحريضٍ، مباشر أو بالواسطة، من قبل مسؤولي الدول الأجنبيّة صاحبات المصالح والغايات في الشرق الأوسط أو غيره، فيدفعون هذا أو ذاك، ممن يطلقون لحاهم لغايات في نفوسهم، ليدعوَ إلى "الجهاد" مستغلًّا الفكر المتطرف، والجهل، للوصول إلى غاياته؟ فيشوهون صورة الإسلام والمسلمين كي يكسبوا تأييد شعوبهم، ويدمّروا، في الوقت عينه، الدولة التي يرغبون في تدميرها، وبأيدي أبنائها. والأمثلة عديدة أمامنا في تلك الدعوات التي تطلق في الدول المراد تدميرها، ضدّ ما يسمونها "الحكومات الكافرة"، ومن قبل مجموعاتٍ من أبنائها، من الشباب الجهلة المغرّرين

الساعين للوصول إلى الحور العِيْن، وبقيادة أحد أولئك "المتأسلمين". وما يؤسف له أن بذور هذا الفكر موجودة في بعض كتب التراث.

ثم ألا ترى معي، أيضًا، كم من جرائم التقتيل والتهجير، والفوضى، التي تسبّبت بها تلك الدعوات العشوائية، إلى "الجهاد في سبيل الله"، والتي تشوّه حقيقة الإسلام، وكلّها باسم الدين، ومن قبل من لا يحقُّ لهم ذلك؟

الشيخ إبرهيم: للأسف يا صديقي، فما تقوله صحيحٌ، وقد رأينا الكثير من أولئك الشبّان الذين تأخذهم الحميّة فور سماعهم فتوًى من أحد "المشايخ". والمؤسف أيضًا أن باب إصدار الفتاوى مفتوح ولا قيود عليه. ولكن ما عسانا نفعل لدرء هذه الأخطار؟؟

الشيخ سالم: إن كنت تقصد على صعيدنا نحن وأمثالنا، فجلّ ما نستطيعه هو التوعية. أمّا على الصعيد العام فهذه مهمّة

ليست سهلة وترتبط بأمورٍ مهمّةٍ متشعّبة، أوّلها تنقية كتب التراث، وعلى ضوئها تعديل برامج تعليم الدين.

وأعتقد أن قد حان الآن موعد العودة إلى البيت، أليس كذلك؟

الشيخ إبرهيم: أجل. وإلى اللقاء بعد غدٍ هنا وفي الساعة نفسها. أيناسبك هذا؟

الشيخ سالم: أجل، وإلى اللقاء إن شاء الله.

اللقاء الرابع

كعادته، وفور اتخاذهما مقعديهما في المقهى عينه، بادر **الشيخ إبرهيم** بالقول: بما أنّنا انتهينا أمس الأول، من موضوع الجهاد في سبيل الله، فهل لك أن تخبرني عما يقلقك في أمور الأحاديث؟

الشيخ سالم: إن الفتاوى التي يطلع بها علينا بعض الشيوخ، بين الحين والآخر، مستندين إلى أحاديث عن النبيّ (ص)، زادت في حَيرتي حيال صحّة ما هو بين أيدينا من هذه الأحاديث. فهل تظنُّ يا شيخ إبرهيم، أنّها صحيحة بكاملها؟

الشيخ إبرهيم: إن كلَّ حديث قال بصحته البخاري ومسلم في صحيحيهما، أعتبره صحيحًا.

الشيخ سالم: وعلامَ استندت في رأيك هذا؟

الشيخ إبرهيم: لقد أجمع علماء الحديث على أنّ هذين الكتابين هما أصحُّ الكتب بعد القرآن الكريم.

الشيخ سالم: ولكن يبقى الإمامان البخاري ومسلم، من البشر، وكل إنسانٍ معرضٌ للخطأ. وألا يقول تعالى: **{وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِّ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا}**[1]؟

الشيخ إبرهيم: لا اعتراض عندي على قوله تعالى.

الشيخ سالم: ولكن هل خضعت إعادة كتابة الأحاديث بالنسخ اليدويّ ثم بالطباعة، على مدى ما يزيد عن الألف سنة، للمراقبة والمراجعة كما هي الحال في ما يخصُّ القرآن الكريم؟

الشيخ إبرهيم: لا، لم ألحظ في أيٍّ من الكتب التي اطلعت عليها ملاحظة تشير إلى ذلك.

1 (النساء 82).

الشيخ سالم: وهل يعقل، إذًا، أن تسلم هذه الأعمال من الأخطاء في النسخ أو الطباعة إذا لم تخضع للتمحيص والمراجعة الدقيقين وكما يجب؟

الشيخ إبرهيم: لا أنكر أنّ الوقوع في الخطأ جائزٌ.

الشيخ سالم: وبالتالي، ألا يُعقل أن تكون تلك الكتب قد تعرّضت، أيضًا، لدسِّ أحاديث مكذوبة، من قبل أعداء الدين، أو حتى كلمات أو أحرفٍ من شأنها تغيير المعاني إلى عكسها؟ ولا ننسى أن النقطة أو الحركة، في العربيّة، قد تغيّر أو تبدّل في معاني الكلمات.

الشيخ إبرهيم: وهذا أيضًا أمر لا يمكنني نفيه.

الشيخ سالم: سأدع جانبًا ما قرأتُ عن الشكوك المختلفة التي أثارها ويثيرها الكثيرون، حيال صحيحي البخاري ومسلم، بما في ذلك التشكيك في صحّة نسبتهما إلى ذينك الإمامين، أو أين

المخطوطة التي تثبت تلك النسبة، وعن منعِ النبيّ (ص) الكتبة من تدوين أحاديثه، وعن المنافقين الذين قال عنهم تعالى: **{وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ...}**[1]؛ وغير ذلك من الأسئلة التي كانت تحتشد في مخيلتي؛ لأسألك، أولا، عما هي الشروط التي اعتمداها، هما وسائر واضعي كتب الأحاديث، للتحقّق من كون الحديث صحيحًا أم لا؟

الشيخ إبرهيم: أعذرني يا صديقي فلم أعد أذكر مما تعلّمناه في الجامعة، سوى صحةِ الإسناد وعدالة الرواة. وأنت، هل ما زلت تذكرها؟

الشيخ سالم: بنتيجة البحث الذي أجريته لهذه الغاية، في عدة مصادر، تبيّن لي أنّها كانت محصورة في خمسة شروط، بيَّنها نور

1 (التوبة 101)

الدّين عتر[1]، وسأتلو عليك مختصر ما أورده في تحقيقه وشرحه لكتاب علوم الحديث لابن الصلاح، المعروف بمقدمة ابن الصلاح، (في حاشية ص 12-13):

1 – **اتصال السند**: ومعنى الاتصال: أن يكون كلُّ واحدٍ من رواة الحديث قد تلقّاه ممن فوقه بطريقٍ مقبولٍ من طرق التلقّي.

2 – **العدالة في الرّواة**: وهي رُكنٌ مهمٌ في قبول الرواية، لأنّها الملَكة التي تحضُّ على التقوى، وتحجز صاحبها عن المعاصي والكذب وما يُخِلُّ بالمروءة.

3 – **الضبط**: ومعناه أن يحفظ الراوي الحديث في صدره أو كتابه، ثمّ يستحضره عند الأداء.

4 – **عدم الشذوذ**: والشذوذ هو مخالفة الراوي الثقة لمن هو أقوى منه.

---

1 أستاذ التفسير وعلوم القرآن والحديث وعلومه في كلية الشريعة بجامعة دمشق.

5 – **عدم الإعلال**: ومعناه سلامة الحديث من علّةٍ تقدح (أي تُعِيْب) في صحّته، أي خُلُوُّه من وصفٍ خفيٍّ قادحٍ في صحّة الحديث والظاهر السلامة.

كما أضاف في الحاشية نفسها، التوضيح التالي: "ووجه دلالة هذه الشروط الخمسة على صحة الحديث: أنّ العدالة والضبط يحققان أداء الحديث كما سُمع من قائله، واتّصالُ السند على هذا الوصف في الرّواة يمنع اختلال ذلك في أثناء السند. وعدم الشذوذ يحقق ويؤكّد ضبط هذا الذي نبحثه بعينه وأنه لم يدخله وهمٌ. وعدم الإعلال يدلُّ على سلامته من القوادح (العيوب) الظاهرة، فكان الحديث بذلك صحيحًا لتوفر عامل النقل الصحيح واندفاع القوادح الظاهرة والخفية، فيُحكم بالصحة بالإجماع." (انتهى كلام نور الدين عتر).

أليس هذا يا صديقي، مطابقًا في المعنى، مع ما درسناه في الجامعة؟

الشيخ إبرهيم: بلى، هو كذلك. وشكرًا، فقد أنعشت ذاكرتي فيما قرأتَ. وماذا بعد؟

الشيخ سالم: ألا ترى أنّ هذه الشروط، التي اعتمدها واضعو كتب أحاديث النبيّ (ص)، كما يقولون، للتحقّقِ من صحيحها، قد انحصرت في التثبُّتِ من سلامة نقل وانتقال تلك الأحاديث، ومن صدقِ الرّواة وسلامة قدراتهم على الحفظ، ومن أنّهم جميعًا أهلٌ للثقة في كلِّ ما يتعلق برواية نصوصها كما وصلت إليهم؟ وبكلامٍ آخر، أنّهم قد اهتمّوا بالشكل من دون المضمون؟

الشيخ إبرهيم: وما كنت تريدهم أن يفعلوا؟

الشيخ سالم: لقد كان سؤالي عن هذه الشروط، بدايةً لأسئلة تليه، **أوّلها**: هل قال النبيّ (ص) أو فعل، ما يخالف ما نصّت عليه ولو آية واحدة من القرآن الكريم؟ وقد قال له ربُّه: **{اتَّبِعْ**

مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}[1]؟

الشيخ إبرهيم: بالتأكيد لم يحصل مثل هذا! ولكن ما الذي دعاك إلى هذا السؤال؟

الشيخ سالم: لقد قرأت عددا لا يستهان به من تلك الأحاديث، سواء في الصحيحين أم في غيرهما. وكمثال، سأكتفي بهذين الحديثين اللذين قرأتهما، مكرّرين مرّات عدة، في صحيحي البخاري ومسلم وفي غيرهما من كتب الحديث أيضًا:

الحديث الأول: «أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ الناسَ حتَّى يَشْهَدوا أَنْ لا إِلهَ إِلاّ اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللهّ، ويُقِيموا الصلاةَ، ويُؤْتوا الزَّكاةَ. فإذا فَعَلوا ذلكَ عَصَموا مِنِّي دِماءَهُم وأموالَهُم إِلاّ بِحَقِّ الإِسلام، وحسابُهم عَلَى اللهّ».

1 (الأنعام 106).

والحديث الثاني وهو بصيغتين، الأولى: «بُعِثْتُ بِالسيفِ حَتّى يُعْبَدَ الله لا شَرِيكَ لَهُ». والثانية: «واعلموا أَنَّ الجنَّة تحتَ ظِلالِ السيوف».

ألا ترى أنّهما يخالفان مخالفة بيّنة ما قاله تعالى: **{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ...}**[1]، و**{وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ}**[2]؟

فإذا كان عزَّ وجلَّ، قد نهى عن هذا الإكراه، حتى بالكلام، فهل يُعقل أن يكون قد أمر بالإكراه وبالقتل ، وهو الذي حرّم القتل تحريمًا قاطعًا؟؟

1 (البقرة 256)

2 (يونس 99)

أضف إلى ذلك ما أخرجه البيهقي، عن النبيّ (ص) أنّه قال: «إِنَّ الْحَدِيثَ سَيَفْشُو عَنِّي، فَمَا أَتَاكُمْ عَنِّي يُوَافِقُ الْقُرْآنَ فَهُوَ عَنِّي، وَمَا أَتَاكُمْ عَنِّي يُخَالِفُ الْقُرْآنَ فَلَيْسَ عَنِّي»[1].

الشيخ إبرهيم: وحسبما أذكر أنّهم قالوا بأن "الناس" في الحديث الأول، "عمومٌ يرادُ به خصوص". ما يعني أنّه خاصٌ بأشخاصٍ معينين في حينه.

الشيخ سالم: ولو سلّمنا جدلًا أنّه كان كما تقول، فلماذا إذًا أثبتوه في كتب الحديث ليصبح عامًّا؟؟؟ وبالتالي مرجعًا لأصحاب الغايات؟

الشيخ إبرهيم: وماذا عن سؤالك الثاني؟

الشيخ سالم: السؤال الثاني يا صديقي هو، أتظنُّ أن النبيّ (ص) قد قال أو فعل ما يخالف أو يشوه ما عُرف عن أخلاقِه أو

1 (17737) معرفة السنن والآثار للبيهقي.

صفاتِه التي قال عنها تعالى: **{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}**[1]، و**{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهَّ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَّ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَّ كَثِيرًا}**[2]، و**{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِّ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ...}**[3]؟

الشيخ إبرهيم: لا، لم أقرأ أو أسمع عن أمرٍ كهذا.

الشيخ سالم: إذًا سأتلو عليك ثلاثة أحاديث، من الكثير مما قرأت، وكما نقلتها، حرفيًّا وبحركاتها، عن صحيح البخاري، علمًا بأنّها قد وردت مكرّرة، لا في هذا الصحيح فقط، بل قد قرأتها أيضًا، ومكرّرة، في غيره، وهي للأسف، تظهر النبيّ (ص) كأنه "مهووسٌ" بالجنس:

---

1 (القلم 4).

2 (الأحزاب 21).

3 (آل عمران 159).

الحديث الأول، هو ذو الرقم، 5255 – حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَسِيلٍ عَنْ حَمْزَةَ بْنِ أَبِى أُسَيْدٍ عَنْ أَبِى أُسَيْدٍ – رضى الله عنه – قَالَ خَرَجْنَا مَعَ النبيّ – صلى الله عليه وسلم – حَتَّى انْطَلَقْنَا إِلَى حَائِطٍ يُقَالُ لَهُ الشَّوْطُ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى حَائِطَيْنِ فَجَلَسْنَا بَيْنَهُمَا فَقَالَ النبيّ – صلى الله عليه وسلم – «اجْلِسُوا هَا هُنَا». وَدَخَلَ وَقَدْ أُتِيَ بِالْجَوْنِيَّةِ، فَأُنْزِلَتْ فِي بَيْتٍ فِي نَخْلٍ فِي بَيْتٍ أُمَيْمَةُ بِنْتُ النُّعْمَانِ بْنِ شَرَاحِيلَ وَمَعَهَا دَايَتُهَا حَاضِنَةٌ لَهَا، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا النبيّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ «هبِي نَفْسَكِ لي». قَالَتْ وَهَلْ تَهَبُ الْمَلِكَةُ نَفْسَهَا لِلسُّوقَةِ. قَالَ فَأَهْوَى بِيَدِهِ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهَا لِتَسْكُنَ فَقَالَتْ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ.

فَقَالَ «قَدْ عُذْتِ بِمَعَاذٍ». ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ «يَا أَبَا أُسَيْدٍ اكْسُهَا رَازِقِيَّتَيْنِ وَأَلْحِقْهَا بِأَهْلِهَا.

الشيخ إبرهيم: فما هو تعليقك عليه؟

الشيخ سالم: قبل الكلام في مضمونه، أرجو أن تقرأ منه، العبارة التالية: (وَدَخَلَ وَقَدْ أُتِيَ بِالْجَوْنِيَّةِ، فَأُنْزِلَتْ فِي بَيْتٍ فِي نَخْلٍ فِي بَيْتٍ أُمَيْمَةُ بِنْتُ النُّعْمَانِ بْنِ شَرَاحِيلَ وَمَعَهَا دَايَتُهَا حَاضِنَةٌ لَهَا،)؛ أليست هذه دليلًا واضحًا على ما سبق وقلته عن إمكانية الوقوع في الخطأ عند النقل أو إعادة الطباعة؟ علمًا بأنّي قد نقلتها، كما أسلفت، حرفيًّا وكما حُرّكت كلماتُها، من نصِّ هذا الحديث، وكما وردت في النسخة من صحيح البخاري، التي قرأته فيها. أفلا يُشكل فهمُها من جراء أخطاء كهذه في الطباعة؟

بينما وردت في مسند الإمام أحمد كالتالي: في الحديث رقم: -15754- (ودخل هو وقد أتى بالجونية في بيت أمية بنت النعمان بن شراحيل ومعها داية لها،)؛ وفي الحديث رقم -22489 – (ودخل هو وأتى بالجونية، فعزلت في بيت في

النخل أميمة ابنة لنعمان بن شراحيل ومعها داية لها،)؛ فهل هي أمية أم أميمة؟ وهل هي (ابنة لنعمان) أم (ابنة النعمان)؟

أمّا في المضمون فأقول: هل يعقل أن يضع النبيّ (ص) نفسه في موقف كهذا أمام تلك المرأة، حتى ولو كان تزوجها، كما قال بعضهم، وهذا ما لم أتحقّق منه؟ أم أنّه كان، أيضًا، يُسخّر بعضًا من أصحابه ليحضروا له "النساء" لإشباع رغبته الجنسية؟ ثم، هل دخل معه أحد عندما دخل عليها، ليسمع ما دار بينهما؟ أم أنّه هو (ص) قد أعلمهم بذلك؟ أم أنّ مجلسهم، حيث تركهم النبيّ (ص) كان، وبعِلمه أيضًا، ملاصقًا لذلك البيت كي يسمعوا ذلك؟ أليس هذا معيبًا بحقِّ رسولٍ جاء "ليتمم صالح الأخلاق"؟

الشيخ إبرهيم: والحديث الثاني؟

الشيخ سالم: هو ذو الرقم، (269) - حدَّثنا مُحَمَّدُ بنُ بَشَّارٍ قَالَ: حَدَّثنا مُعاذُ بنُ هشامٍ قال: حدَّثني أَبي، عن قتادةَ قالَ:

حدَّثَنا أَنسُ بنُ مَالِكٍ قال: كانَ النبيّ صلى الله عليه وسلّم يَدُورُ عَلى نِسائِهِ في السَّاعَةِ الواحِدَةِ، من اللَّيلِ والنَّهارِ، وهُنَّ إِحْدى عَشْرةَ. قَالَ: قُلْتُ لأَنَس: أَو كَانَ يُطِيقُّه؟ قَالَ: كُنَّا نتحدَّثُ أنّه أُعْطِي قُوَّة ثَلاَثِينَ وقَالَ سَعِيدٌ، عن قتادة: إن أَنسًا حدَّثهم: تِسْعُ نِسوَةٍ.

الشيخ إبرهيم: وما هو تعليقك عليه؟

الشيخ سالم: بالإضافة إلى التناقض والخطأ في ما ذكر عن عدد نسائه (ص)، اللاتي لم يذكر أي مرجعٍ أنّه اجتمع على ذمته (ص) أكثر من تسعٍ معًا؛ فما معنى "أَنَّهُ أُعْطِي قُوَّة ثَلاَثِينَ"؟ فلو كان له مثل هذه القوة، فهل كان بحاجة إلى من يردّ عنه أذى سفهاء وعبيد بني ثقيف، أو المشركين إبّان قتالهم يوم "أُحُد"؟ أم أنّ تلك القوة انحصرت في ممارسة الجنس فقط؟ ولماذا لم يتزوج على خديجة (ر) ما دامت على قيد الحياة، والتي

عاش معها لما يزيد على ربع القرن؟ أم أن قوته تلك قد تفجرت بعدما جاوز الخمسين؟

الشيخ إبرهيم: والحديث الثالث؟

الشيخ سالم: هو ذو الرقم، (300) - حدَّثنا إِسماعيلُ بنُ خَليلٍ قال: أخبرَنا عليُّ بنُ مُسْهرٍ قال: أخبرَنا أبو إِسْحاقَ - هوَ الشَّيْبانيُّ - عن عبدِ الرحمنِ بنِ الأسودِ عن أبيهِ عن عائشةَ قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضًا فأرادَ رسولُ اللهِّ صلى الله عليه وسلّم أن يُباشرَها أَمَرَها أن تَتَّزِرَ في فَورِ حَيضتِها ثمَّ يُباشِرُها. قالت: وأيُّكمْ يَملكُ إِرْبَهُ كما كان النبيّ صلى الله عليه وسلّم يَملِكُ إِرْبَه؟.

الشيخ إبرهيم: وماذا ترى فيه؟

الشيخ سالم: عن هذا الحديث أقول: في اللغةً، "باشَرَ المرأةَ: جامَعَها، أو صارَا في ثَوْبٍ واحِدٍ، فباشَرَتْ بشَرَتُهُ بَشَرَتَها[1]."

1 القاموس المحيط للفيروزابادي.

فإذا كانت "المجامعة" هي المعنى المقصود للمباشرة في هذا الحديث، فهذا يعني أنّه يخالف مخالفة بيّنة قوله تعالى: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ}**[1].

أمّا إن كانت تعني التقاء البشرتين، لا الجماع، وهذا الغالب عند الفقهاء، فأقول:

أ – أإلى هذا الحد رأوا أنّ النبيّ (ص) كان دائم الشَّبِق أو مهووسًا جنسيًا؟ وألم يكن بإمكانه تأجيل شهوته هذه دقائق معدوداتٍ ليذهب إلى إحدى زوجاته الثمان الأخريات؟ وهو الذي قالت عنه عائشة: "وأيُّكمْ يَملكُ إِرْبَهُ كما كان النبيّ صلى

1 (البقرة 222).

الله عليه وسلّم يَملِكُ إِرْبَه[1]"؟ وقد قرأت مثل هذا الكلام أيضًا، في غير هذا الحديث، في الصحيحين وفي غيرهما.

ب – هل كانت حياته الخاصة (ص)، بتفاصيلها ودقائقها، وبما فيها لحظاتها الحميمة، مفتوحة الأبواب مشرّعتها، أمام الناس أجمعين؟ أم أنَّ زوجاته، وبخاصّة عائشة (ر)، كنَّ يتباهين بنشر تفاصيل علاقاتهنَّ الخاصّة معه أمام سائر الناس؟

ج – وبالعودة إلى ما نُسبِ إلى عائشة في هذا الحديث، أنّها قالت: "وأيُّكمْ يَملكُ إِرْبَهُ كما كان النبيّ صلى الله عليه وسلّم يَملِكُ إِرْبَه"، فإنّي أرى فيه لا إهانةً فقط، بل افتراءً وإثمًا عظيمين عليها. فبماذا نجيب إذا سألنا أحدهم: "كيف تسنى لعائشة أن تحكم بأنَّ النبيّ (ص) كان أقدرَ الناسِ، ممن حوله، على التحكّم بإرْبِه، إذا لم تكن، والعياذ بالله، قد عاشرت غيره؟

1 أَمْلَكَكُمْ لإِرْبِه أَي لحاجَتِه، تعني أنّه، صلى الله عليه وسلم، كان أَغْلَبَكم لِهَواهُ وحاجتِه أَي كان يَمْلِكُ نَفْسَه وهَواهُ. وقال السلمي: الإِرْبُ الفَرْجُ. (لسان العرب)

الشيخ إبرهيم: أعوذ بالله وأستغفره، من هذه التهمة، ومن كل ما يشوه أخلاق وسمعة النبيّ (ص) ونسائه!!

الشيخ سالم: أفهم أنك توافقني الرأي بأن كلّ حديثٍ يتناقض مع أخلاق النبيّ (ص) لا يجوز اعتباره صحيحًا، أليس كذلك؟

الشيخ إبرهيم: بالتأكيد، أوافقك. ولكن أظنُّ أن وقت العودة إلى المنزل قد حان، أليس كذلك؟

الشيخ سالم: أجل، ولكن قبل أن نفترق إليك ما قرأته في مسند الإمام أحمد في الحديث رقم (24523) – (عن عائشة: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم كان يقبلها وهو صائم ويمصُّ لسانها»). وأرجو أن أسمع تعليقك عليه في لقائنا القادم إن شاء الله.

اللقاء الخامس

في هذا اللقاء كان الشيخ سالم هو المبادر بالسؤال، قائلا: هل لي أن أسمع تعليقك على الحديث الذي تلوته عليك في ختام لقائنا السابق؟

الشيخ إبرهيم: باختصار، هو معيبٌ بحقّ النبيّ (ص) وعائشة (ر) ولذا فإنّني أعتبره غير صحيحٍ. ولنعد لاستكمال تساؤلاتك، فبعدما انتهيتَ أمس الأول مما أوردتَه عن الأحاديث التي تخالف أو تشوه أخلاق النبيّ (ص)، فعما سنتحدث اليوم؟

الشيخ سالم: لقد أيّد اللهُ تعالى رُسُلَه، بمعجزاتٍ لإقناع الناس بصدقِهم، وبحسب زمان كلٍّ منهم، وكان القرآن الكريمُ معجزة النبيّ محمدٍ (ص)، ببلاغته ومضمونه وإعجازه.

والكلمة تخاطب العقل، ولذا كان على النبيّ (ص) إذا حدّثَ الناس أنْ يكونَ كلامُه موجهًا إلى عقولهم. أليس كذلك؟

الشيخ إبرهيم: أجل، وقد قال تعالى: **{ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}**[1]، و**{فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا}**[2]، أيْ بالقرآن كما أسلفتَ.

الشيخ سالم: نعم، ولنا في قصّةِ إسلام عمرَ بنِ الخطّابِ (رضي الله عنه) شاهدٌ على ذلك. أما زلت تذكرها؟

الشيخ إبرهيم: أجل، ومختصرها، أنّ عمر (ر)، ذهب يومًا لقتل أخته وزوجها سعيد بن زيد؛ لأنّهما قد دخلا في الإسلام، وهو في شدة الغضب، ودخل بيتهما وهما يتلوان القرآن الكريم برفقة الصحابي الجليل خباب بن الأرت، عند ذلك ضرب

1 (النحل 125).

2 (الفرقان 52).

أخته حتى نزل الدم من وجهها وطلب منها أن تُعطيَه الصحيفة التي كانت تقرأ فيها فرفضت أخته إعطاءه إيَّاها حتّى يغتسل ويتوضّأ، وبعد قراءتها تغيّر حاله، وأعلن إسلامه وأخبر الجميع بأنّه تبع دين النبيّ محمد (ص).

الشيخ سالم: فما الذي هدّأ روعه وأقنعه بالإسلام؟ هل هو عذوبة الكلام أم مضمونه؟ ويقول ابن رشد: "الله لا يمكن أن يعطينا عقولا ثم يعطينا شرائع مخالفة لها". فهل يعقل بالتالي أن يكون النبيّ (ص) قد قال أو فعل ما لا يقبله العقل؟

الشيخ إبرهيم: المنطق يفرض عدم حصول ذلك.

الشيخ سالم: وكمثالٍ عن الأحاديث التي لا يقبلها العقل، فسأتلو عليك حديثًا قرأته في صحيحي البخاري ومسلم،

مكررًا باختلافٍ بسيط في الصيغة، عن النبيّ (ص)أنّه قال: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا»[1].

الشيخ إبرهيم: وما اعتراضك عليه؟

الشيخ سالم: بل، اعتراضان لا واحد.

الأول: هل رأى النبيّ (ص)، اللهَ عزَّ وجلَّ، كي يقول بأنه تعالى خلق آدم على صورته؟ وهو القائل لكليمه موسى (ع): **{وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي...}**[2]. ثم ما معنى أن يقول تعالى أن **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}**[3]؟ وأنّه **{هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء...}**[4]، و**{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ}**[5]، و**{فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء**

1 في صحيح البخاري: (6227) - (3256) -(3257) - وفي صحيح مسلم: (6607) - (7112).

2 (الأعراف 143).
3 (الشورى 11)
4 (آل عمران 6)
5 (الأعراف 11)

رَكَّبَكَ}[1]، و**{وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ}**[2]؟ وهذا يعني أنّه، جلَّ جلاله، لم يعطِنا أيّ إشارة عن صورته، أو عن صورةِ أو شكل آدم (ع).

والثاني: أمّا أن طول آدم كان ستين ذراعًا، فإذا كان تعالى لم يذكر شيئا عن صورته فأنّى للنبي (ص) أن يحدد طوله؟ وقد قال عنه تعالى: **{مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى* وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}**[3]؟ ثم، فلنُجرِ حسابًا بسيطًا، لنرى كم سيكون حجم هذا المخلوق. المعروف أنّ، في ما يعادل طول الذراع، قولين: الذراع العشرية، وطولها ما يعادل نحوًا من 48 سم. والذراع الشرعية، وطولها بما يعادل نحوًا من 64 سم. فيكون بالتالي طول آدم يوم خلقه الله، عملا بهذا الحديث، بما يعادل 28.80

1 (الانفطار 8)
2 (غافر 64)
3 (النجم 2-5).

مترًا، إن احتسبناه على الذراع العشرية، وهذا قد يعادل ارتفاع مبنًى من عشر طبقات من مباني أيامنا هذه؛ أو 38.40 مترًا على الذراع الشرعية، أي ما يعادل مبنًى من ثلاث عشرة طبقة. كما يكون طول قدمه بما بين الخمسة والسبعة أمتار. وسأترك احتساب وزنه لعلماء الرياضيات. فهل يمكنك أن تتخيل كيف كان يمشي بين الأشجار مثلا؟ إلا إذا كانت أطوالها تزيد عن الخمسين مترًا؛ ثم عادت إلى التناقص أسوة بما حصل لبني آدم. علمًا بأن اكتشافات وأبحاث علماء الآثار، لم تشر إلى أن حجم جسم الإنسان قد طرأ عليه تغيرٌ كبير، في التاريخ المعروف كذلك بالنسبة للأشجار.

فهل يُعقل، يا شيخ إبرهيم، أن يكون النبيّ (ص) قد نطق بمثل ما جاء في هذا الحديث، أو قال أو فعل ما لا يقبله العقل؟ وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده، أنّ النبيّ (ص) قال: «إذا سَمِعْتُمُ الحديثَ عَنَّي تَعْرِفُهُ قُلُوبُكُمْ، وَتَلِينُ لَهُ أَشْعارُكُمْ،

وَأَبْشارُكُمْ، وَتَرَوْنَ أنّه مِنْكُمْ قَريبٌ، فأنا أَوْلاكُمْ بِهِ، وَإِذَا سَمِعْتُمُ الحَدِيثَ عَنّي تُنْكِرُهُ قُلُوبُكُمْ وَتَنْفِر أَشْعَارُكُمْ وأَبْشَارُكُمْ وَتَرَوْنَ أنّه مِنْكُمْ بَعِيدٌ فأنا أَبْعَدُكُمْ مِنْهُ»[1]. كما جاء ما يشابهه في جامع المسانيد والمراسيل[2].

الشيخ إبرهيم: لا أظنُّ أن يكون النبيّ (ص) قد قال ما لا يقبله العقل.

الشيخ سالم: وبالإضافة إلى الحديث السابق، فقد قرأت في مسند الإمام أحمد، عن أبي هريرة أن النبيّ (ص) قال: «تقطع الصلاة المرأة، والكلب، والحمار»3. ومثله عن عبد الله بن مغفل4. فهل يعقل أن يكون النبيّ (ص) قد ساوى المرأة، بالكلب والحمار، بعدما بلّغنا (ص) قوله تعالى: **{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ**

1 رقمه (15751).
2 رقمه (2194).
3 رقمه (7941)
4 رقمه (16478)

خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الروم 21)؟ كما أنّ الكثيرين من واضعي كتب الحديث قد أخرجوا عنه (ص) أنّه قال عنها: «الجنة تحت أقدام الأمهات»، و«خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، مَا أَكْرَمَ النِّسَاءَ إِلاَّ كَرِيمٌ، وَلاَ أَهَانَهُنَّ إِلاَّ لَئِيمٌ»؟

الشيخ إبرهيم: لا أخفي عليك يا صديقي بأنّني كنت كثيرًا ما أشمئزُّ من تلك الفتاوى العشوائية التي تشوّه سماحة وتعاليم الإسلام، وبخاصّةٍ تلك التي يسندونها إلى أحاديث منسوبة إلى الرسول (ص). ولكن عملي في دار الفتوى قد شغلني عن مثل هذه الأبحاث التي قمتَ بها أنت. جزاك الله خيرًا.

الشيخ سالم: لا عليك يا صديقي. فكم كنت أتمنّى أن تقوم المؤسّسات الدينية في دول العالم الإسلامي بالتصدّي لمطلقي تلك الفتاوى التي تزيد في إذكاء نار الفكر المتطرّفِ اشتعالًا. أمّا أنا فما جعلني أقوم بهذه الأبحاث، هو ما كنت أسمعه من

اتّهامات كانت، ولم تزل، توجّه إلى الإسلام بأنّه دين الإرهاب، وإلى المسلمين بأنّهم هواة قتل. وكانت دراستي في الجامعة في كندا، بداية لأبحاثٍ لم أنتهِ منها بعد. ومما يؤسف له يا صديقي، أنّني قرأت الكثير من الأحاديث التي يثير مضمونُها الشكَّ في صحّتها، لا، ممّا يشبه ما حدثتك عنه في لقاءاتنا هذه فقط، بل في أمور كثيرة أخرى، ولذا أرى وجوب اتخاذ إجراءات إصلاحيّة جذريّة، تبدأ بكتب الأحاديث.

الشيخ إبرهيم: من نهج كلامك وأسئلتك، يبدو لي أنك قد توصلت إلى شيء ما في ما يخص الأحاديث. أليس كذلك؟

الشيخ سالم: أجل، لقد رسمت خطوطًا أساسيّة أوّليّة لما يقتضي القيام به.

الشيخ إبرهيم: هل لي أن أطلع عليها؟

الشيخ سالم: لقد انطلقت في خطتي هذه من قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}**[1]؛ إنّي أفهم من هذه الآية، كما أسلفتُ، أنّ القرآن الكريم هو المرجع الأوّل والأخير؛ وبما أنّ الرسول (ص) هو الذي بلّغنا إيّاه كما أنزل عليه، فمن غير المعقول أن تخالف سنتُه أيًّا من التعاليم الواردة في كتاب الله؛ وبما أن أحاديثه (ص) هي خزانة هذه السُّنّةِ، التي من المفترض أن تُوضِحَ ما قد يُشكلُ على الناس فهمه من آيات القرآن الكريم، لأدعوَ منظمة الدول الإسلاميّة إلى تشكيل لجنة أو هيئة دائمة من أصحاب اختصاصات متنوّعة في دين الإسلام، بالإضافة إلى أدباء ولغويّين وعلماء في الآثار والرياضيات والتاريخ والحاسوب...تكون مهمّتها:

1 (النساء 59).

أولًا: إحصاء ومراجعة، ما أمكن من النُّسخ القديمة من صحيحي البخاري ومسلم الموجودة في المكتبات حول العالم، للتحقّق من أنّها متطابقة فيما بينها في الدرجة الأولى، ثم مع ما هو موجود بين أيدينا حاليًّا. وإحصاء أصول النسخ الحديثة والمتوفّرة حاليًا من ذينك الصحيحين والتحقّق من أيّها ما يتطابق مع أقدم مخطوطة معروفة لكلٍّ منهما. ثم دراسة ما أخرجه ونشره في هذه النسخ والمخطوطات، لا هذان الإمامان فقط، بل ما أمكن من غيرهما ممن جمعوا أحاديث منسوبةً إلى النبيّ محمد (ص)، لتنقيتها من كل ما قد يشوبها من الخطأِ أو الكذب أو الدسّ، وصولا إلى استخلاص الصحيح منها، استنادًا، لا إلى الشروط التي اعتمدت سابقًا فقط، بل أيضًا، والأهم في رأيي، إلى الشروط التالية:

الشرط الأول: ألّا يتضمن الحديثُ، قولًا أو فعلًا منسوبًا إلى النبيّ (ص)، يناقض مضمون أيٍّ من آيات القرآن الكريم.

الشرط الثاني: ألّا يتضمّن أيضًا ما يخالفُ أخلاق وصفات النبيّ (ص) أو يشوّهُ صورتَه.

الشرط الثالث: ألّا يتضمن كذلك ما لا يقبله العقل.

الشرط الرابع: ألّا يكون في مضمونه ولو بعضٌ من الشّرّ.

ثانيًا: وضع كتابٍ موحّد يحوي فقط الأحاديث التي تحقّقت من صحتها هذه اللجنة بإجماع أعضائها، وتحت إشرافها الكامل. مع التأكيد والإعلان بأنّ الأحاديث الواردة في هذا الكتاب هي وحدها التي يعترف الإسلام والمسلمون بصحّتها. وأنّ ما عداه من الكتب لا يعتدُّ به، ولا علاقة للإسلام والمسلمين به.

ثالثًا: بعد ذلك تتحول هذه اللجنة إلى هيئة دائمة، تنبثق عنها هيئات فرعية دائمة في كلٍّ من الدول الإسلامية، بالتعاون والتنسيق مع حكوماتها، لتتولّى حصرًا التدقيق في إعادة طباعة

هذا الكتاب، وتكون لها وحدها الصلاحية الكاملة في السماح أو منع نشر أي طبعة لم تخضع لمراقبتها وموافقتها المسبقة، وهذا على غرار المتّبع في طباعة القرآن الكريم.

الشيخ إبرهيم: إنّي أراها خطة طموحة جدًا، لدرجة أن تحقيقها أراه شبه مستحيل. إذ هي قد تلغي الكثير من المذاهب، إن لم نقل، جميعها، وهذا ما لن تقبله الغالبيّة العظمى من القيّمين عليها. كما ستلغي معظم كتب التراث.

الشيخ سالم: وهل جاء الإسلام على شكل مذاهب متعدّدة أم دينًا واحدًا؟ وأنا على يقينٍ واقتناعٍ تامَّين، بأنّ الله تعالى قد بعث الأديان لتؤلّف بين القلوب، واصطنع الإنسانُ المذاهب لتفرّق بين البشر. فهل يكون إصلاح الخطأِ خطأً؟ ثمّ أيهما أفضل، نقاء الدين أم بقاء عددٍ من الكتب، ومهما كان ذلك العدد؟

الشيخ إبرهيم: لا يا أخي ليس هذا ما عنيت، فأنا أيضًا أوافقك هذا الرأي. "فالإمام عليّ (كرم الله وجهه) لم يكن

شيعيًّا، وأبو بكر (رضي الله عنه) لم يكن شافعيّا ولا حنبليًّا..".
وحبّذا لو تتمكن من تحقيق ما تصبو إليه، وتكون بالتالي رائدًا في تصحيح مسيرة المسلمين، وإيضاح تعاليم ديننا الحنيف لفهمه بشكل سليم.

الشيخ سالم: ولكنّني يا صديقي، لن أتمكّن من بلوغ هذه الغاية ما دمتُ وحيدًا. وليس لي من معينٍ سوى ربّي عز وجل، وقلمي.

الشيخ إبرهيم: لا يا أخي سالم، لن تكون بعد الآن وحيدًا، فهذه يدي أضمّها إلى يدك، لنكوّن معا نواة مجموعة من المتنورين، تعمل على تحقيق هذه الغاية.

الشيخ سالم: شكرًا لك يا أخي إبرهيم. ويبقى عندي أمرٌ آخر أرغب في سماع رأيك فيه.

الشيخ إبرهيم: وما هو؟

الشيخ سالم: هل يتعارض الإسلام مع العلم؟

الشيخ إبرهيم: بالتأكيد لا، ألا تذكر أن أول ما نزل على النبيّ (ص) هو: **{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ*}**[1] كذلك قوله تعالى: **{وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا...}**[2]؟

الشيخ سالم: شكرًا. وما رأيك في حسابات الفلكيين وعلومهم وأجهزتهم ذات التقنيّة العالية؟ ألا ترى أنَّ بإمكانها تحديد أوقات أدقّ الأحداث الفلكية بالساعات والدقائق والثواني، قبل حدوثها بعشرات أو مئات السنين؟

الشيخ إبرهيم: لا أشكُّ في هذا أبدًا.

الشيخ سالم: ألا ترى أن تحديد أوقات ولادات الأهلّة، كما هو معمولٌ به منذ فجر الإسلام، يسبّب الكثير من الإرباك

1 (العلق 1 – 5).

2 (البقرة 31).

للمسلمين جميعًا؟ كما يُظهرهم متفرّقين مختلفين في تحديد بداية ونهاية شهري رمضان وشوّال مثلا في كل عام؟

الشيخ إبرهيم: هذا صحيح، وفي معظم السنين نرى أنَّ كلًا من الأقطار الإسلامية يعلن، على حدة، ولادة هلالي هذين الشهرين. وقد يحصل هذا أحيانا فيما يخصُّ هلال ذي الحجّة أيضًا.

الشيخ سالم: شكرًا. وألا يعتمد الكثير من المسافرين في تحديد اتّجاه الكعبة على تقنيّات الهواتف الذكيّة، لأداء صلواتهم؟

الشيخ إبرهيم: بلى، هذا صحيح.

الشيخ سالم: وألا نعتمد، أيضًا، أوقات الصلوات اليوميّة كما يحدّدها أولئك العلماء مسبقًا وبسنوات؟

الشيخ إبرهيم: بلى.

الشيخ سالم: ولماذا إذًا نتجاهل هذه التقنيّات الحديثة والدقيقة جدًّا، لتحديد أوقات الأهلّة مسبقًا؟ ولِمَ لم نزل نصرُّ فيه على اعتماد الرؤية بالعين المجردة؟

الشيخ إبرهيم: هذا عملا بالحديث النبوي الشريف: «صُوموا لِرُؤْيتهِ وأفطِروا لرُؤيته، فإن غُبِّي عليكم فأكملوا عِدَّةَ شَعبانَ ثلاثين».

الشيخ سالم: وهل تكون هذه الرؤية بالعين المجرّدة فقط؟

الشيخ إبرهيم: وماذا إذًا؟

الشيخ سالم: في معنى "الرؤية" يقول ابن منظور، في "لسان العرب": (واحدًا منها من رُؤْية العَيْنِ كقولك كما تُبْصِر، والآخر من رُؤْية القَلْبِ في معنى العلم فيصير كقولك كما تَعْلم، والثالث من رأَيْت التي بمعنى الرَّأْي الاعتقاد... فتكون ما ترى مرة رؤية العين، ومرة مَرْئِيًّا، ومرة عِلْمًا ومرة مَعلومًا،

ومرة مُعْتَقَدًا. وقوله تعالى: **{ما كَذَبَ الفُؤَادُ ما رَأَى}** [النجم 11]؛ يقول: ما كَذَبَ فؤَادُ محمدٍ ما رَأَى؛ يقول: قد صَدَقَه فُؤَادُه الذي رأَى.) وفي القاموس المحيط للفيروزابادي: (الرُؤْيَةُ: النَّظَرُ بالعَيْنِ وبالقَلْبِ.) ويخاطب تعالى نبيه الكريم: **{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ}**[1]. وأصحاب الفيل هم أبرهة، ملك اليمن، وجيشه الذين توجّهوا إلى مكّة بهدف هدم الكعبة، وقد سمّي ذلك العام ب"عام الفيل". وقد أجمع المؤرّخون على أنّ مولد النبيّ (ص) كان في ذلك العام، وبالتالي، فهل يمكن له وهو طفل حديث الولادة أن يرى عِيانًا ما فعل تعالى بهم؟ وعليه يكون المعنى المقصود بالرؤية هو العلم يقينا بذلك الحدث.

الشيخ إبرهيم: لقد أفحمتني يا صديقي. وأفهم مما قلتَه أنك قد درست هذا الأمر جيدًا. فهل توصّلت إلى حلٍّ ما لهُ؟

1 (الفيل 1).

الشيخ سالم: أجل. وأراه في أن يتمَّ تأسيس مركزٍ إسلاميٍّ واحدٍ موحّدٍ، ينبثق عن منظّمة الدول الإسلاميّة أيضًا، يتولّى إصدار التقويم (الروزنامة الإسلامية) الموحّد، استنادًا إلى حسابات الفلكيّين وعلومهم وأجهزتهم. وليكن العاملون فيه علماء مسلمون. وأظنُّ بأنهم كثرٌ. فتُحدّد بالتالي، مسبقًا وفي جميع أنحاء العالم، الأوقات التي يحتاج إليها المسلمون للقيام بواجباتهم الدينيّة باليسر الذي قال عنه تعالى: **{يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...}**[1].

الشيخ إبرهيم: ولكن، ما دامت الأقطار الإسلاميّة متفرقة سياسيًّا ومذهبيًّا، فأرى هذا الحلَّ صعبَ المنال.

الشيخ سالم: صعبٌ، ولكنّه ليس مستحيلًا، إذا ما اتفقت عليه منظمة الدول الإسلامية. وأظنُّه أسهل مما اقترحت في موضوع تنقية الأحاديث النبوية. أليس كذلك، يا أخي؟

---

1 (البقرة 185).

الشيخ إبرهيم: حبّذا لو يتمّ ذلك. وسأكون معك أيضًا للعمل على تحقيقه. ولكن أرجو منك أن تسامحني على بعض ما ظننته فيك عندما رأيتك إثر تلك الأمسية التي جمعتنا بعد فراق طويل.

الشيخ سالم: لست أدري عمّا تتحدّث يا أخي؟

الشيخ إبرهيم: حينما رأيتك يومها، حليقَ اللحية، ومن دون العمامة والجبَّة، ظننت أنك قد خرجت عن تعاليم ديننا الحنيف. ولكنّني، بعد الحوار الذي دار بيننا في لقاءاتنا هذه، أيقنت أنّ إيمانك عميقٌ جدًا، وأنّك أصبحت صاحب رسالةٍ إصلاحية تنبع من قلبٍ مؤمنٍ وتفكيرٍ علميٍّ ومنطقيٍّ. وهذا برهانٌ آخر لفهم قوله تعالى: **{وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ**

آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ}[1]؛ و**{إِنَّمَا يَخْشَى اللهَّ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}**[2]؛ صدق الله العلي العظيم.

الشيخ سالم: لا عليك يا أخي. فيكفيني أننا سنكون معًا لنعمل، يدًا بيدٍ لعلّنا نتمكّن من تحقيق ما نستطيع مما توافقنا عليه؛ فشكرًا يا صديقي العزيز. ووفقنا الله العلي القدير وهدانا إلى السبيل الصالح لتحقيق ما نصبو إليه.

1 (آل عمران 7).
2 (فاطر 28).